

تأليف
بيار كورناي

سَنا
أوحلم اغسطين

تعريب
خليل مطران

دار الحيتاء
بيروت



سَنًا
أو
حلم اغسطس

تأليف
بيار کورنای

سنا
اوحسالم اغسطین

تدريپ
خليل مطران

دارماروت عبود

جميع الحقوق محفوظة
لدار مارون عبود
بيروت

مقدمة

« سنّا » هي إحدى تراجيديات أربع بلغ بها الشاعر الفرنسي بيار كورناني (١٦٠٦ - ١٦٨٤) ذروة نتاجه المسرحي . والثلاث الأخرى هي : السيد ، وهوراس ، وبوليوكت . ويضيف إليها بعض النقاد والباحثين تراجيديا خامسة : « بومبايوس » ، وكوميديا : « الكذاب » .

ومن أبرز ما يسترعي انتباه الدارسين أن نتاج كورناني شبيه بحياته ، يبدأ بفتوة لاهية ماجنة ، تحب الدعابة والمرح ، فيصِلُ إلى شباب متنبّه ، بعيد الطموح ، يتلهّس طريقه إلى المجد ، حتى إذا بلغ نضج الرجولة ، اهتدى إلى التعبير الأفضل عن نبوغه ، فأعطى زبدة ما في قلبه وعقله ، ثم راح ينحدر ، مع توالي الأعوام ، نحو الأفول ، من غير أن ينقطع عن العطاء ، كأنه أراد أن يكون نتاجه قنطرة توازي تماماً قنطرة حياته .

وهكذا رأيناه يضع مسرحيته الأولى : « ميليت »

— كوميديا — وهو في الثالثة والعشرين من العمر . وخلال سبعة أعوام وضع سبع مسرحيات ، منها خمس كوميديات : الأرملة ، ورواق القصر ، والتابعة ، والساحة الملكية ، والوهم الهزلي ، وتراجيديا : ميديه ، وتراجيكوميديا : كليتندر .

وفي الثلاثين من العمر أطلق أولى روائعه الخالدة : السيد ، واتبعها بهوراس وسنثا ، وبومبايوس ، والكذاب ، ثم راح ينحدر مع : تابع الكذاب ، ورودوغون ، وتيودور ، وهيراكليوس ، واندروميد ، ودون سانش ، ونيكوميدي ، وبرتاريت ، واوديب ، والجزء الذهبية ، وسرتوريوس ، وصفونسي ، واوتون ، واجيزيلاس ، وايتلا ، وتيت وبيرينيس وبسيكيه ، وبولشيري ، حتى انتهى إلى سورينا ... وكانت هذه مؤسفة حقاً ، فانقطع عن التأليف المسرحي نهائياً ، وانصرف إلى التأمل ، ففاضت شاعريته ورعاً وتقوى في : الاقتداء بيسوع المسيح ، وأنشيد فرض الكهنة ، ومدائح العذراء .

كورناي الرائد

يعتبر كورناي ، على الرغم من هنات الفتوة والشيخوخة ، رائد المسرح الكلاسيكي الفرنسي ، وفجر العصر الذهبي المعروف باسم الملك « لويس الرابع عشر » . وهذا ما أعلنه نداءه ومنافسه جان راسين يوم استقبله في الأكاديمية الفرنسية ، إذ قال :

« في أية حال كان المسرح الفرنسي حين بدأ

كورناي يعمل ! في أية فوضى ! وأي انحراف عن
القواعد !

« كان مسرحنا خالياً من الذوق ، خالياً من
معرفة الجمالات المسرحية الحقيقية ، فالمؤلفون كانوا
أشد جهلاً من المشاهدين . وكانت الموضوعات
المطروحة ، في أغلبيتها ، مبالغت بعيدة عن المنطق
والمعقول ، لا أخلاق فيها ، ولا خصائص مدروسة .
وكان الأداء أوفر فساداً من التمثيل ، وكل ما كانت
تتحلى به المسرحيات ، معنى ومبنى : 'نكت'
لاذعة ، وتلاعب بالألفاظ .

وبكلمة مختصرة ، كانت قواعد الفن ، والشرف ،
واللباقة كلها مردولة ومنقوضة ! » .
وهذه شهادة جديرة بالتدوين والحفظ .

عوامل وضع سنًا

أجمع الباحثون على أن عوامل وضع « سنًا » نوعان : أدبية
وتاريخية .

فالعوامل الأدبية هي تلك التي نجمت عن « معركة السيد »
فالنجاح المنقطع النظير الذي أحرزته هذه المسرحية أحدث في
الأوساط الفكرية ما يشبه الإعصار ، حتى أن الممثل موندوري
الذي قام بدور « السيد » - رودريغ - كتب إلى بلزاك :
« ليتك تأتي إلى باريس لترى هذه المسرحية

التي سحرت المدينة . ازدهم الناس في القاعة حتى
أصبحت الزوايا المخصصة للخدم أماكن مرموقة
للأشراف » .

وكتب الناقد بليسون :

« يصعب وصف الترحيب الذي استقبلت به
هذه المسرحية . فكل من رآها أراد رؤيتها من
جديد ، فما تعب أحد منها . وفي الأوساط والأندية
كان يتحدث عنها كل ما يقال ويُسَمع ، وكان الجميع
يحفظون شيئاً من أبياتها عن ظهر قلب ، وبوشر
تعليمها للأولاد في أماكن عديدة من فرنسا، وانطلق
مثل على الألسنة هو : « هذا جميل كالسيد » .

ولم يكن إعجاب الملك أقل من إعجاب شعبه ، فرفع
كورتاي وأباه إلى مرتبة الأشراف ، مما أثار حفاظ الكتاب
والشعراء ، أمثال : ميريه ، وسكوديري ، وكلافريه ، فانهموا
المؤلف بخرق « القواعد الكلاسيكية » ولا سيما وحدة الزمان
والمكان ، وادعوا أن القصة لا يمكن أن تحدث في أربع وعشرين
ساعة ، وأن حوادثها وقعت في أماكن عديدة .

وادعى ميريه أن كورتاي « سرق » موضوعه من مسرحية
اسبانية . فرد كورتاي رداً رصيناً لا يخلو من العنف قال فيه :

« لست مديناً بشعريتي إلا لي وحدي ، ولا أظن

أن هناك منافساً لي لا أشرفه حين اعتبره نداً ، .

وتدخلت الأكاديمية فحسنت الخلاف بقولها :

« ان في السيد جمالاً نادراً ما يكون له مثيل ،
وهو من أجل الشعر المعروف حتى الآن » .

واعتقد بوالو، رئيس المدرسة الكلاسيكية ومشتريها الأول
أن « سنّا » مدينة بوضعها لمعركة «السيد» وصاغ هذه الفكرة
في بيت من الشعر هو :

Au Cid Persécuté, Cinna doit sa naissance

— ان سنّا مدينة بولادتها لما عانت السيد من الاضطهاد .

أما العوامل التاريخية فهي أن حركة عصيان نشبت في
منطقة نورمنديا عام ١٦٣٩ ، فقمعها الوزير ريشليو قمعاً دائماً ،
ونفى اثنين وعشرين من قادتها . ولما كان كورناني نورمندياً ،
فقد اختار موضوع سنّا الذي يمجّد الحلم أملاً أن يستدر عطف
الكردينال الوزير على مواطنيه المنفيين ، فتأثر ريشليو ، وأثنى
على الشاعر بلا تحفظ ، ولكنه لم يَلِنْ ، ولم يصفح عن المنفيين .

قيمة « سنّا »

نجحت هذه المسرحية نجاحاً يضارع نجاح سابقتها : السيد
وهوراس ، فثلث مائة وست وستين مرة ، وأعرب النقاد عن
إعجابهم بما فيها من :

— تصوير الأخلاق والطباع تصويراً مدروساً ، دقيقاً ، عميق الغور ، يبرز المزايا الخلقية ، والخفايا النفسانية ابرازاً يزدان بروعة البيان ، وسمو المناقب .

— النقاش السياسي ، وقد حذقه كورناي وأبدع فيه ، وهو الذي نال جائزة في البلاغة والبيان والخطابة ، إذ كان تلميذاً ، وأحرز إجازة الحقوق في الثامنة عشرة من عمره ، فجاء نقاشه السياسي متسماً بما فطر عليه من الفصاحة ، وقوة الحجة ، وسداد الرأي ، ويعد النظر .

— الانشاء الزاخر بالقوة والاشراق ، إن في رواية الحوادث ، أو في الحوار ، أو في عتاب الامبراطور ، أو في رد فعل الندامة في نفس سنّا .

وإذا كانت اميلي ، حبيبة ، سنّا قد تميّزت بقوة الارادة ، والمعرفة وصلابة العود على مفهوم مخطيء ، للشرف ، إلى بجانب حب لاهب يقرب من الهيام ، فإن أغسطس — وهو بطل المسرحية — يعطينا مثلاً عن « حاكم » ينشد الكمال . فهو سيّد نفسه ، مسيطر على أعصابه ، يكبت عواطفه في سبيل الحق ، ويقدم الواجب إلى الحد الأقصى ، ويتحلى بالحلم الذي يتجاوز كل تخم . وهذا ما نلّمه في عقوه عن سنّا ، ورغبته في التخلي عن السلطة ، وندمه على قسوته السابقة ، مما جعله أنبل وجه ، ليس في مسرحيات كورناي فحسب ، بل في مختلف مسارح العالم والتاريخ .

أما سنًا ، وهو شخصية ثانوية بالنسبة إلى أغسطس ، فإن ما نقوم على سيده ، والحسن إليه ، وولي نعمته إلا استرسالاً منه في حب أميلي ، فأقسم لها بقتل الامبراطور انتقاماً لأبيها فأصبح أسير قسسه ، وهذا مفهوم آخر غطىء لمعنى الشرف .
وأدوار الأشخاص الآخرين ليست سوى تكملة لتوالي حوادث القصة .

مقارنة لا بد منها

بقيت مقارنة بين كورناي ونده راسين يفرضها هذا البحث للإلام بناحية بالغة الأهمية من المسرح الكلاسيكي الفرنسي .
قبل أن كورناي وراسين رميا إلى تثقيف مشاهدي مسرحياتهما ، وتهذيب أخلاقهم ، فانتهج كل منهما سبيلاً يختلف عن سبيل الآخر ، إذ قدّم لنا كورناي قدوات صالحة ، ومثلاً عليا ، كأنه يقول لنا : افعلوا هكذا ، أنسجوا على هذا المنوال ، بينما صور لنا راسين المثالب والعيوب ، وحذرنا منها ، كأنه يقول : اجتنبوا هذا لئلا تسقطوا .

فكان من الطبيعي أن يأتي مسرح كورناي صلباً ، بطولياً ، شامخ العنقوان ، وأن يكون مسرح راسين عاطفياً تتوالى عليه نوبات من الضعف والألم والأنين ، فإذا براسين أقرب إلى الانسان وإلى الشعور الانساني ، وإذا بكورناي يحلّق في ذرى يتصورها الخيال ، وتعجز الارادة - مهما صمت - عن بلوغ رفعتها .

نظير عبود

الاشخاص

اكتافيوس قيصر
اغسطس : امبراطور روما
ليفيا : الامبراطورة
سِنّا : ابن كريمة بومبيوس رئيس المؤتمرات باغسطس
مكسيم : رئيس آخر للمؤتمرات
اميليا : كريمة تورانيوس الوصي على اغسطس والمنفي
خلال مدة حكومة الثلاثة
فلفيا : أمينة أسرار اميليا
بوليكليتس : مُعْتَق اغسطس
ايفاندر : مُعْتَق سِنّا
اوفورب : مُعْتَق مكسيم
« تحدث وقائع هذه الرواية في روما »

الفصل الاول

المشهد الاول

اميليا : أيتها النزعات^(١) التي تجيش في صدري وتستنفيد صبري في سبيل انتقام جليل أثاره في نفسي موت أبي .
 أيتها الحفائظ^(٢) التي تدفق بها حقدي ، واحتضنها على غير هدى ألمي ، فطغى بها على جماع^(٣) نفسي !
 مهلا عليّ لحظات أسترح قليلا وأتبين من خلال ما يغشاني حقيقة مغامرتي وما أرمي إليه . كلما رأيتُ اغسطس في عنقوان مجده ، وأعدتُ إلى ذاكرتي ما كان مِنْهُ في أول عهده بالملك من سفك دم أبي ، كلما مثلت لي تلك الصورة الدامية التي أثارَت أضغاثي واجترحتها يد

(١) النزعات : الميول ، الرغبات .

(٢) الحفائظ : الأحقاد ، البغض . (٣) جماع : كل .

تقمته ، استسلمتُ لحوافزك الملحة ، وطابت نفسي
لتقيل ألفٍ في واحد .

وفي أثناء هذا الغضب العادل أراني أحبُّ سنًا فوق
بغضي لأغسطس ، فأحسُّ خموداً في حدّتي المتأججة حين
أذكر أنني بتعقبي لعدوي أعرض حبيبي لسوء المغبة^(١) .
أجل يا سنًا ! إنني لأثور على نفسي عندما أتدبر
المخاطر التي أدفعك إليها .

أنت لا تحشى شيئاً في سبيل خدمتي ، ولكنني فيما
أسالك من هدر دم غيرك أخشى هدرَ دمك ، وهيئات أن
تُقطَفَ الرؤوس من تلك الذرى السماء من غير أن
تُستنزَلَ على قاطفها الزعازع والعواصف .

في الفوز ريب ، وأما الخطر فلا ريب فيه ، وربُّ
صديق غير صدوق وشى بك ، وباح بسرِّك . أو ربُّ
تدبيرٍ لم تُحكه ، وفرصة لم تحسن انتهازها ، أساءاً منقلبك
وصباً على رأسك الضربات التي كنت تريد أن تصبّها على
رأس عدوك .

(١) المغبة : عاقبة الشر .

قد تصرعه فيجرك في مصرعه ، ومهما يوح إليك حبي من
عظائم الأمور في سبيل رضاي، لن تأمن حين ترمي بعدوك
من حالك أن يذهب بك في انحداره إلى مهواته .

آه اكف يا حبيبي عن هذه المغامرة المهلكة. فما انتقامي
بانتقام إذا جرّ إلى الإيذاء بك . إن أقسى القلوب هو
الذي يرى السرور في أمانني تفسدها مرارة الدموع .

وان أوجع الأرزاء هو أن نشترى موت عدوّ باستنزاف
ما في عيوننا من العبرات .

ولكن أيسفح الدمع من ينتقم لأبيه ؟

وهل من خسارة فادحة لاتهون في جانب الأخذ بثاره؟

إذا حملنا الحملة الصادقة على قاتله فأرديناه ، أيجز لنا

التفكير فيما يسومنا موته من عذاب ؟

حسبك أيتها الخواف الباطلة .

حسبك أيتها الرقة الزرية أن تشغلي قلبي بما يشبط

عزيمتي !

وأنت أيها الحب الذي يبعث فضوله في قلبي هذه

الخواف ، تشمر في خدمة واجبي ودع كفاحه ، ففي

الخضوع له مجدك وفي الفوز عليه عارك .

كن كريماً وتسامح له في الغلبة عليك فكلما أعطيته
أعطاك وأربنى ، وان ينتصر لم يكن نصره إلا تاجاً على
هامتك .

المشهد الثاني

اميليا ، فلفيا

اميليا : أقسمت، يا فلفيا ، ولا أزال أقسم أنني مهما أحببت سناً،
بل مهما أحلته من قلبي محل العبادة، فلا وصال بيني وبينه
إلا بعد هلاك أغسطس .

رأس هذا العاهل هو الثمن الذي يشتريني به . وما
أسومه إلا الحكم الذي يقضي به عليّ الواجب .

فلفيا : ذلك الحكم لا يقبل العذل لأن مصدره العدل . فلا جرم
أنك بهذا العزم الجليل تؤيد جدارتك بالانتساب إلى ذلك
الدم الذي تطالبين بثاره . ولكن تجاوزي لي ، وأعيريني
سمعتك مرة أخرى . إن هذه الحدة ، وإن كان باعثها حقاً
يجب أن تُلطف ... فيلوح لي أن أغسطس ، بما يُسدي به
إليك من الأيادي كل يوم ، كفر تكفيراً حسناً عن الآلام

التي ابتلاك بها . وظاهر من آيات عطفه عليك أنه يحلُّك
أعلى محل من الكرامة .

أليس أسعد المقربين إليه أولئك الذين يحثون على
قدميك ويستشفعون بك لديه ؟

اميليا : كل هذه الحظوة لا ترد عليَّ أبي ، وكيفما نظروا إليَّ نظرهم
الى المتقلبة في النعمة المعتزة بالنفوذ ، فإنني على الدوام ابنة
المطلوب الثار لدمه .

ليس للمكرمات في كل حال من الأثر ما تظنين . فهي
لمن يتلقاها من يد ممقوتة سُبَّة وامتهان ، واکرام العدو
الحاقد يزيد في أسلحة خيانتة ومكره .

يغدق عليَّ آلاءه في كل يوم ، ولكنه لا يفلُّ حد
شجاعتي ! أنا اليوم كما كنت بالأمس . بل أشدُّ مراساً ،
وأصلب عوداً ، فما يفعم به يدي من الصلّات ، أشتري به
نفوس الرومانيين لمناواته ، ولو أنزلني منه منزلة ليفيا
لقبيلتها حتى اتخذ منها وسيلة للفتك به .

لا جناح على من ينتقم لأبيه ، وإنما يبيع دمه من يلين
جانبه لإحسان المسيء إليه .

فلفيا : وما حاجتك لأن تُرمي بالكنود^(١) والجحود، وفي وسعك أن تحقدي من غير أن ينفجر حقدك ؟

في الناس غيـرك من لم ينس كيف أرسى أغسطس عرشه على القسوة والظلم . فكـم في الرومان من باسل مقدم، وكـم من همام ذائع الصيت ، ذهبوا قرايين لجرائم طمعه ، وتركوا الأولادهم من بعدهم ألما يدفعهم الى الانتقام . انـ آلافاً منهم سيطرقون هذا الطريق . والذي يعيش حائقةً عليه أمته لا يطول عيشه ... فخلّي لتلك الأذرع الذود عنك وعنـها ... ولا تعيني أغراضها بغير ما تضررين لها من أمانـي الفوز .

اميليا : كيف ؟ أمقتـه ولا أجدُ في أذاه ؟

أأكل إلى المصادفات ان تتولى إهلاكه ؟
وهل تقنع الواجبات الملحة بمقد مكنون وأمانٍ عاجزة ؟
أشتهي هلاكه ، ولكن يشقّ عليّ ان يقتل في غير والدي . إنك إذن لترينني باكية عليه ، لأن هلاكه بغير يدي يجرمني لذّة الانتقام !

(١) الكنود : الكافر بالنعمة .

من الجبن ان يكل الإنسان مصالحه إلى غيره ، فلنجمع
إلى حلاوة النار لأهلينا مجداً نحرزه في معاقبة الطغاة ،
وليُذع يومئذ في أرجاء ايطاليا : «رُدَّتْ على روما حريتها
بيد اميليا . لقد مسَّ الغرام روحها ، ودلَّه قلبها ، بيد أنها
لم تجدُ بوصلها حتى جعلت ثمنه نجاة قومها » .

فلفيا : غرامك وما قدَّرت له من ثمن مقدمة مشؤومة ، تقضي على
حبيبك قضاء لا ريب فيه . فتبيِّن ، يا اميليا ، ما تُعرِّضين
له هواك . واذكري كم ارتطم أناس بهذه الصخرة ولا
تعمي^(١) عن القضاء الذي سينزل به فهو لا محالة واقع .

اميليا : أوَّه ... إنك لتعرفين كيف تصيين موضع الحس مني .
أفكر في المكاره التي أدفعه إليها ، فاموت خوفاً عليه من
الموت ، ويختلط عليَّ عقلي ، فاعارض نفسي بنفسي :
أريد ولا أريد . أهم ولا أقدم ، ثم يذعن شعوري بالواجب ،
وهو حائر بائر ، منقاد لنزوات قلبي في عصيانه وتمرّده .
هوادة يا صبابتي ! رفَّهي عني قليلاً ، قد تشهدين من

(١) لا تعمي : لا تسيري على غير هدى ، عمه : سار على
غير هدى .

تصاريف الاتفاق كل حدث عظيم . على أنني لا أبالي وليس
سناً بهالك حتماً من جراء استهدافه للهلاك . لِيَحْتَمَ أغسطس
بالجحافل والفيالق، وليحتط لنفسه ما يشاء، وليأمر وينه
بما يشاء ، ان من يحقر حياته يملك حياة أغسطس . كلما
عظم الخطر حَلَّتْ ثمرته .

الفضيلة تدفعنا إليه وما عقباه سوى المجد . وسواء
أهلك أغسطس أم هلك سناً فلا مندوحة لي عن هذه
التقدمة قرباناً لو الذي ... بهذا وعدني سناً عندما عاهدته
على الهوى . والضربة التي سيضر بها هي وحدها التي تجعله
جديراً بي، وقصارى الأمر : لقد سبق السيف العذل ، فلا
رجعى عما استقر عليه العزم . اليوم الاجتماع . واليوم
الاقتار . واليوم يكون اختيار الساعة والمكان والذراع .
فإذا مات سناً فإني لمائة بعده .

المشهد الثالث

سنّا ، اميليا ، فلفيا

اميليا : هذا هو قادم ... سنّا ألم يروّع اجتماعكم مروّع من الخطر ؟

وهل رأيت على وجوه أصدقائك دلائل الاستعداد لانجاز ما وعدوك به ؟

سنّا : لم يتأت قط في ائتار بطاغية ان يؤمل النجاح كما نأمله . ولم تبين الحميّة في قسم كما تبينت في القسم بقتله ، ولم يرَ في متحالفين أحسن مما رؤي في أصحابي من اتفاق .

لقد أبدوا جميعاً من النشاط للأمر والسرور به ما ألقى في روعي ان كلا منهم يخدم عشيقه له كما أخدم عشيقتي، وأظهروا كافة من شدة السخط ما أوهمني ان كلهم يثار لأب له كما تثارين لأبيك .

اميليا : كنت أتوقع ان سنّا في مثل هذه المهام يعرف كيف يختار الشجعان ولا يلقي بمصلحة اميليا ومصلحة الرومان في أيدي الأغرار والهمل^(١) .

(١) الهمل : الرعاع من الناس .

سنا : وددت لو أنك رأيت بنفسك الغيرة التي يُقدِّم بها هؤلاء
النفر على ذلك العمل العظيم . كان اسم قيصر أو اغسطس
أو الامبراطور ، كافياً وحده ان يلهب أعينهم بنار الغضب .
فما تنقضي لحظة حتى يعلو جباههم : 'تناقضان : اصفرار
الاستفطاع ، واحمرار الحقد . قلت خاطباً فيهم : « أيها
الأحباب ، دنا اليوم السعيد الذي سيختم بالحسنى أغراضنا
الكريمة .

لقد وضعت الآلهة في أيدينا حظاً روما ، وناطت
سلامتها بهلاك رجل ، ان جاز ان يسمى برجل من خلا من
الانسانية ، فكان نمرأ لا يُروى إلا باستنزاف جميع الدم
الروماني ا ففي سبيل سفكه كم دبّر من مكيدة وكم تحول
من حزب إلى آخر ، ومن عصابة إلى عصابة ، فهو تارة
صديق لانطونيوس ، وطوراً عدو له لا حد لوقاحته
ولا لقسوته .

وبعد قولي هذا مضيت في سرد طويل للرزايا^(١) التي
عانها آباؤنا ونحن في الصغر ، فجددتُ بهذه الذكريات

(١) الرزية : المصيبة العظيمة .

الأحقاد ، واذكيتُ الأضغان، وأججتُ في قلوبهم الشوق
إلى الاقتصاص منه .

وأمعنتُ فعرضت أمامهم صوراً لتلك الوقائع المبكية
التي كانت فيها روما تمزق أحشاءها بيديها، فكانت العقاب
تقاتل العقاب في كل مكان، وكتائبنا تتسلح لتقضي بسلاحها
على حريتها ، وخيرة الأجناد وأشجع الرؤساء لا يرون
المجد كل المجد إلا في النزول إلى مصاف العبيد . ويضيفون
إلى دنس قيودهم عار التطلع إلى سلك العالم وراءهم في
سلسلة من الاسار^(١) . وزاد في الطامة ان التهيام بالشرف
المرذول في تسويد طاغية على الخافقين ، حبس إلى جميعهم
إثم الخيانة والغدر ، فكان الرومان على الرومان ، والأقارب
على الأقارب ، يتطاحنون لا شيء سوى اختيار الباغي
إثر الباغي .

وأضفت إلى هذه الصور أروع وصف لوفاقهم الأثيم ،
البعيد عن الرحمة ، الذي جاء نحساً على أهل الخير ، وعلى
الأغنياء ، وعلى أشياخ الندوة ، والذي جمعت فيه الجرائم

(١) الاسار : القد وهو ما يعرف بالسير .

باسم حكومة الثلاثة .

على انه أعجزني اتخذ أشد الألوان سواداً لوصف
تاريخهم الحفيل بالفواجع، فاجترأت بأن صورتهم لهم تمثيلين
نصرأ، نازفين من التقتيل في الميادين العامة . وكشفت لهم
عن روما غريقة في دماء أبنائها وقد سفكت مهج أناس
منهم وجدلٌ "غيرهم في محاريب آلهتهم حماة دورهم .
أغري الشرير منهم بالأجر فتأدى في إجرامه، وذبحّت
الزوج زوجها في سرير منامه ، واحتمل الولد رأس أبيه
في يده وهو يتصبب دماً ، وانبرى يطلب كراهه . كل ذلك
ذكرته على انه رسم ناقص للفظائع الرهيبة التي يقوم عليها
أمنهم وسلامهم المريب ...

أأعدُّ لك من أسماء أولئك الأعاضم الذين وصفت
مناياهم لشحد العزائم أم أعدّ أولئك المغضوب عليهم الذين
كانوا أنصاف آلهة فنحروا حتى في صدور الهياكل ؟
ولكن من لي بأن أبين بالحق ... كيف أثارت هذه
الصور ، على نقصها وقلة اتقانها ، عقول جميع المؤتمرين

(١) جدل : ارتدى .

فكانوا ينتفضون حقناً واحتداماً ورغبة في الفتك . فلم
أُضِيع الفرصة السانحة . ولاح لي ان غضبهم استل منهم كل
خوف وحرصهم على كل مغامرة . فمضيت في الخطاب
وقلت لهم في كلام وجيز : « كانت المظالم والمغارم ، وكان
فقدان أموالنا وحریتنا، وتخريب حقولنا ومدائننا، وكان
النفي والحروب الأهلية ، كل تلك كانت الدرج الخضب
بالدماء الذي صعد عليه اغسطس للاستواء في العرش ورمينا
بالقوانين الجائرة . ولكن في وسعنا ان نغيّر هذه الحال
المنكودة ما دام هو الباقي وحده من الطغاة الثلاثة . وقد
حرم نفسه النصير بقضائه على ضريبیه ” الخبيثين ليحكم
وحده، فإذا ما هلك فلا مولى علينا ولا منتقم له منا . وبعثت
روما ببعث حریتها . وحقاً لنا ان نُسمّى بالرومانيين يوم
نحطّم بأيدينا النير الذي يرهقها ...

النهزة سانحة لنتنزهها غداً ...

سيذهب إلى الكايتول لتقريب القربان ، فليكن هو
الضحية . ولنقم هناك ميزان العدل للناس بمشهد من الآلهة ...

(١) ضريبیه : مثليه .

لن يحيط به غير جنودنا . ومن يدي سيتناول البخور
والجام^(١) . فأريد ان تكون الإشارة الخنجر أغمد في
صدره بهذه اليد عوضاً عن البخور ... وستريكم الضربة
القاتلة أني سليل بومبيوس العظيم . ثم أروني بعد ذلك أنتم
كيف تحفظون الذكرى لأجدادكم الأجداد .

فما انتهيت من خطابي حتى جدّ كل واحد منهم ،
بالقسم النبيل ، نذر الأمانة والوفاء ..

راقهم اختيار الفرصة ، ولكن تطلّع كل منهم إلى
شرف الضربة الأولى التي آثرت بها نفسي ، ثم دال العقل
من سورة الحميّة فجرى الاتفاق على ان يستوثق مكسيم
ونصف الجند من حراسة الباب ، وان يتبعني النصف
الآخر متأهباً لأول إشارة تبدر مني .

هذا ما انتهينا إليه يا اميليا الحسنة ، وغداً سأكون
موضع حقد الناس أو عطفهم . فإمّا ان أنعت بالقاتل
الأثيم أو بالنقذ ، وإمّا ان ألقب باسم قيصر والأمير او باسم
المحتلس . فإذا أحرزنا الفوز على الطاغية نلنا الفخار ، وإذا

(١) الجام : المكيال .

فشلنا بؤنا بالشنار ^(١) .

الشعب لا ضابط له بإزاء الطغاة ، إذا كرههم موتى
عبدهم أحياء . إِمَّا أنا فسواءٌ عليَّ الآنَ لي جانب الآلهة
أم جفا ، وسواء عليَّ أدفعني إلى المجد أم أسلمتني إلى
القصاص ، وسواء عليَّ أكانت روما لي أم كانت عليَّ . فني
بذل حياتي لمرضاتك سأستسهل كل صعب وأحسد كل مغبة .
اميليا : لا تخش عاقبةً تلوث ذكراك . فالحسنُ والسيئُ سيَّان
في سبيل مجدك ، والتواءُ الحظ في مثل مرامك قد يهدفُ
للخطر حياتك ولكنه لا يضر ^(٢) شرفك .

انظر إلى ما حلَّ ببيروتس وبكاسيوس ! هل طمِسَ
بهاءُ اسميهما المتلائين ؟ وهل مات ذكرهما ، وهل أصابت
المنايا من أمانيهما العظيمة ما أصابته من شخصيهما ؟ أما
يعدُّان إلى اليوم آخر الأبطال من الرومانيين ، لم تفتأ
ذكرهما كريمة على روما بقدر ما أصبحت ذكرى قيصر من
أبغض الذكريات إليها ؟ ولئن كان من فاز عليها تسنم

(١) الشنار : العار .

(٢) يضر : ينال منه أذى أو ضرر .

غارب الحكم ، لقد أسى الناس عليها ، ولقد ظلوا
يرجون ان يخلفها أبطال من طرازها .
ترسم خطاهما ، وأطع داعي الشرف ، ولكن
لا تدع الحيلة لحياتك . اذكر الحب الصادق الذي أشعل
قلبنا ، ولا تنس انك تحرز جزائين : المجد ، واميليا ،
وان قلبك لي ، وانني مشوقة إلى إياك ، وان حياتك أعز
رغائي ، وان أجلي مرتبط بأجلك .
ولكن أي طارئ جاء بايفندر إلينا الساعة ؟

المشهد الرابع

سنا ، اميليا ، ايفاندر ، فلفيا

ايفاندر : أيها المولى اقبصر يدعوك وبمكسيم معاً .
سنا : وبمكسيم معي ؟ ... أعلى يقين أنت مما تقول يا ايفاندر ؟
ايفاندر : بوليكليتس لا يزال في انتظارك ، وكان يزمع المجيء بنفسه
للبحث عنك معي لو لم احتل خيلة لمنعه . وقد نبأتك نباه
مخافة طارئ مفاجيء ... انه يتعجل جداً عجلة .

اميليا : أيطلب رئيسي المؤامرة ؟ كليكما في آن واحد ! .. لقد
كشف أمركما .

سنّا : رحماك .. ظنّني خيراً .

اميليا : آه يا سنّا فقدتكَ !

ابى الآلهة إلا ان يولّوا علينا مستبدّاً . فقدّروا ان
يكون بين أصدقائك بعض الخونة ... لا شك عندي في ان
اغسطس علم بالمكيدة . كيف ؟ أيطلب الاثنين معاً ويطلبهما
عقب الاجتماع ؟

سنّا : لا يسعني مكائمتك ان الأمر أدهشني . ولكن اغسطس
كثيراً ما يدعوني إليه ، ومكسيم مثلي من خلصائه وثقاته .
وقد يكون تشاؤمنا هذا عن غير حكمة .

اميليا : أقليل من اللباقة في مخادعة نفسك يا سنّا ولا تمض
بمصائبي إلى أقصى حدودها . ارغبُ إليك ، وقد أصبحت
لا تستطيع ان تنتقم لي ، ان تربأ بنفسك وتنجو برأسك
من هذا الخطر القاتل ... اتق اغسطس في حدّته ،
واجتنب شواظ^(١) غضبه ! حسبي ما سفحت من الدمع

شواظ الغضب : التهاب الغضب .

على موت أبي، فلا تردُّ برحائي^(١) برزء جديد، ولا تُبلغ
بي الحال إلى بكاء حبيبي .

سنّا : ما هذا ؟ أليس هبةً موهومة .. أخون مصلحتك وأخون
قضية أمّي ؟ أأتهم نفسي بالجن واحجم حيث ينبغي
الإقدام ؟ ماذا يفعل اصدقائنا إذا نالت منك خيبة الأمل ؟

اميليا : بل إلى ما تصير أنت إذا كان السرُّ قد أفضى ؟

سنّا : إذا كانت هناك نفوس سافلة خانتني ، ففضيلتي لن تخونني
وسترينها متألفة على شفا^(٢) الهاوية ، متوجة بالفخر ،
ساخرة من القصاص ، تُدعُ اغسطس غيوراً من الدم الذي
هدره ، هيّاباً وجيلاً مني ، وقد ضحى^(٣) ظلي . سترداد
الشبهة في بقدر ابطائي . الوداع .

وطّني النفس على شجاعتها وابائها ، ولئن قدر لي ان
أتلقي ضربة القدر لاموتن سعيداً وتاعساً : سعيداً بأن
أضعت حياتي في خدمتك ، وتاعساً لأنني مت ولم اضطلع
بتلك الخدمة .

(١) برحائي : احزاني الشديدة .

(٢) شفا : حافة . (٣) ضحى : قتل .

اميليا : نعم .. اذهب ولا تستمع لصوتي الذي يستبقيك . أخذ
الاضطراب يذهب غني والعقل يثوب إليّ ... أغفر لغرامي
هذا الضعف المهين ...

سنّا أعرف ان الفرار متعذر لو أردت الفرار ، ولا ريب
في ان اغسطس قد أخذ عليك سبيله ان كان قد أدرك سرّ
المؤامرة . فאלقه إذن . ألقه في مكانه بتلك الجرأة الباسلة
الخلقة بجنا ، الشفافة عن كرامة أصلك . مت إذا حقّ
الموت وطنياً رومانياً وتوجّ غرضك النبيل بميتة نبيلة ،
ولا تخشَ بعدك شيئاً يمكّ بي في الحياة فرداك " يحمل
روحي إلى روحك وما يصيب قلبك من طعنات يصيب
قلي ...

سنّا : آه ... دعيني إذا ما متّ أحيا فيك ، وأذني إذا قضيت ان
أرجو منك الانتقام لحبك ولأبيك معاً . لا خشية عليك ،
فما أحد من أصدقائي يعلم بغرضك ولا بما وعدتني به ،
لقد تحدثت إليهم في مصائب الرومانين كافة وكتمت عنهم
المأساة التي انبثت أحقادنا حذرَ ان تمسّ حميتي مصلحتك

(١) ردّاك : موتك .

فينكشف مكنون حينا وهو أصدق من ان يذاع له سرّ ،
فإن كان هناك مطلع على خفي أمره فإنه لا يتعدى ايفاندر
ووصيفتك فلفيا .

اميليا : ساذهب إذن إلى ليفيا وأنا أقل رعباً وقلقاً ، فقد بقي لي ،
والخطر حائق بك ، ان أتدفع لخلاصك بنفوذها ونفوذتي
ولكن إذا لم تجد مودتي في نجاتك فلا ترج مني بقاء بعدك .
لقد جعلت قسمتي منوطة بقسمتك . فإما بقاؤك وإما
اللاحاق بك .

سنا : كوني ، رحمة بي ، أقل قسوة على نفسك !

اميليا : اذهب ولا تفكر في شيء سوى أنني أهواك .

الفصل الثاني

المشهد الاول

اغسطس ، سنّا ، مكسيم ، فريق من البطانة

اغسطس : ليخرج كل ، ولا يدخل أحد . وابق أنت يا سنّا . وأنت
يا مكسيم .

(يخرج الجميع ما عدا سنّا ومكسيم) .

اغسطس : هذا السلطان المطلق على البر والبحر ، وهذه الولاية العليا
التي لي على العالم ، وهذه العظمة التي لا حدّ لها ، وهذا
المكان الأسمى الذي سامني قدماً ما سامني من العناء وسفك
الدماء ، بل كل ما يخطف بصر المتملق الملول من رواء
سعادتي العظمى ليس إلا من تلك المباهج التي تبهر ببهارجها ،
ثم لا تلبث ان تُتمجّ بعد احتيازها والتمتع بها .

لقد يُعاف المَطْمَع حين يُدرك . وتعقب الرغبة فيه
الرغبة عنه ، ولما كانت النفس ، ما دام بها رَمَق ، لا تنتهي
من أمنية إلا إلى أمنية ، فهي ترجع إلى نفسها وقد ضاق في
وجهها الفضاء ، فتتطلع بعد السمو وبلوغ القمة إلى
الانحدار والنزول .

تمنيت الامبراطورية . فاوتيتها . ولكني لم أكن
أعرفها وقت التمني ، فما وجدت في احتيازها من السرّات
إلا الهمّ المُقْضِ ، والقلق المستمر ، وما الفيت غير جماهير
الأعداء في الخفاء ، وغير الموت في كل خطوة ، فلا لذة إلا
يتخالجها ازعاج ، ولا راحة أبد الآبدن .

سبقني سلاً إلى هذا السلطان الأسنى ، وتمتع به أبي
قيصر العظيم ، فنظر إليه كل منهما بعين مختلفة : تحلى عنه
أحدهما ، واحتفظ به الآخر . فمات أولهما وكان جافياً
همجياً ، ميتة مطمئنة ، مات محبوباً كما يموت الوطني الخير
في وسط بلده . وقتل الثاني ، وكان حليماً كريم الطبع ،
مراقاً دمه في مجلس الندوة . فهذان مثلان حديثان ما كان
أخلقني بأن اتخذهما عبرة لي ، لو كانت العبرة وحدها
تكفي ليبدل الإنسان من خطة سيره تبعاً لها .

أحد هذين المثلين يغريني بأن أحذو حذو صاحبه ،
والثاني يخيفني . غير ان المثل كثيراً ما يكون مرآة
خادعة ، وليس أمر القدر الذي يبلبل منا الأفكار بكتوب
حتماً في شؤون الماضي . فقد يعثر المرء حيناً أقبلت عثرة
غيره ، ويهلك واحد بما كان فيه حياة الآخر .

هذا أيها الصديقان الصفيان ما أهمّني وشغل بالي .
ان مكانكما مني مكان أغريباً ومُسِيناً . فلحلّ المسألة التي
باحثتهما فيها من قبل ، خذا على نفسي السلطان الذي كان
لها . ولا تحقلا بهذه العظمة السامية التي يستنكرها
الرومانيون ، ويثقل وقرها عليّ . عاملاني معاملة الصديق
لا معاملة المليك ، فروما واغسطس واندولة بين أيديكما .
ولكما ان تضا اوروبا وآسيا وافريقية تحت نظام ملكي أو
جمهوري . سيكون رأيكما السنة التي استنها . فعلى ما
تقضيان به أكون إما امبراطوراً وإما فرداً من أفراد
المواطنين .

سناً : إنني على ما يذهلني من هذه المباغته ، وعلى قلة كفايتي في
هذه الشؤون ، أطيع أمر مولاي بلا ملق ، واطرح جانباً
تلك التجلة التي تحول دون مكافحتي لرأي يظهر أنك تنزع

إليه ، فاقول قولاً صادراً عن نفس تغار على مجدك انك
ستدنس صفحتك بلطخة شديدة الحلك^(١) إذا تركت
فؤادك عرضة لأمثال هذه الوسوس ، ومضيت فيها إلى
استنكار جميع أعمالك .

لا ينبغي للمرء ان يصدف عن عظمة شرعية ، وله ان
يستبقي من غير ندم ، ما أحرزه بغير جرم . وكلما كانت
القنية التي يرام النزول عنها نبيلة عظيمة ، كان التخلي
عنها مثاراً للشبهات في طريقة احرازها . فلا تصم ،
يا مولاي ، فضائلك النادرة التي رفعتك إلى الأريكة بمثل
هذه المبادرة الشائنة .

نلت الملك بحق ، ولم تغير في سبيله نظام الدولة بالقسر
والعدوان . صارت روما إلى حكمك بالحرب ، والحرب
هي التي أدانت العالم لروما . جيوشك افتتحتها ، وليس كل
القاتحين بطغاة وإن كانوا غاصبين . فمن اخضع منهم الولايات
لسلطانه وحكم بالعدل ، كان عليها الأمير العدل . ذلك ما
فعله قيصر . فإما وأنت اليوم بين تقبيح ذكراه أو احتذاء

(١) الحلك : السواد .

مثاله ، فإن أنت أنحيت على السلطان الأعلى باللائمة فقد
حكمت ببغي قيصر ، وبررت مقتله فبقي عليك ارتقاب
الآلهة ، في الدم الذي سفكته للانتقام له والحلول محله .
لا تخشَ يا مولاي عثرات جده ، فأياك أولى بكلاءة^(١)
ربك .

لقد ائتمروا بك عشر مرات ، فباؤوا بالفشل ، وطالما
كادوا لك كيداً فلم يزيدوك إلا منعة ، يضمّر أناس لك
الشّر حيناً بعد حين ، ولكن لا ينفذه أحد . أمامك قتلة
ولكن ليس فيهم مثل بروتس^(٢) .

وقصارى القول انه إذا لم يكن محيص عن توقع تلك
العقبى السيئة ، فأجل بك ان تقضي وأنت سيد الدنيا .
هذا ما جسرت على قوله في موجز من اللفظ ، وعندي
ان القليل الذي اوردته هو رأي مكسيم .

مكسيم : نعم! اسلم بأن اغسطس على حق في الاحتفاظ بالامبراطورية
التي إنما رفعته إليها فضيلته ففتحها واحتازها احتيازاً
شرعياً بدمه والمجازفة برأسه . أما كونه لا يستطيع إلا

(١) كلاءة : عناية . (٢) قاتل قيصر .

بتسويد صفحته ان يتخلى عن العباء الذي ناء به عاتقه أو
يتهم قيصر بالطغيان ويستصوب قتله فهذا ما استنكره .
روما لك يا مولاي والامبراطورية مقتناك وكل حر
التصرف فيما ملك ، له الخيار ان يستبقي وان يذر ،
افتحرم ، وأنت الامبراطور ، ما يستطيعه عامة الناس ؟
أو تصبح ، وأنت الضابط لكل شيء ، عبداً للعلياء التي
سموت إليها ؟ ...

إمليك العظمة يا مولاي دون ان تملكك ، وسدها
ولا تدع لها سيادة عليك وأر الدنيا من أعلى ذراها ان جماع
ما تشمل عليه دون قدرك .

انبئتكم روماك فيما مضى وها أنت ذا تريد ان تهب لها
كل قدرتك. غير ان سنا يغلو ويرى الذنب الأكبر فيما تجود
به على البلد الذي ولدت فيه فيسمى حب الوطن دماً. اتلحق
إذن الفضيلة العليا وصمة بالمجد ؟ فما أجدرها باحتقارنا
إذا كان ثمنها العار ...

أشتهي المصارحة في هذا المقام بأن عملا منك هذا جماله
وجلاله يعود على روما بأكثر مما نلت منها ، ولكن أمن
الجريمة التي لا تغتفر ان يكون الشكر ان فوق الأحسان ؟ ..

اتبع يا مولاي ، اتبع ما توحى به إليك الآلهة .
 فمجدك يتضاعف بقدر ما تطيب نفسك عن الامبراطورية ،
 وذكرك عند الخلف يزكو بالتنحي عنها أكثر مما يزكو
 ببلوغها . ان التوفيق قد يؤدي إلى ذروة العلياء ولكن
 الزهد في تلك المكانة السامية يتطلب فضيلة هي كل
 الفضيلة . وقليل في الكرام من يربح الصولجان ثم يعف^١
 عن حلاوة الحكم ...

تدبر من جهة أخرى انك تحكم ، في روما . ومهما
 أطلقت عليك فيها بطانتك من الأسماء فالملكية ممقوتة ،
 ولقب الامبراطور الذي يستتر وراءه لقب الملك لا يقل
 عنه مقتاً .

كل سيد عند القوم طاغية ، وكل خادم رقيق له وكل
 محب له خائن ، وكل من يطيقه رعديد^(١) فنخوب القلب
 مهيب الجانب ، وكل وسيلة للخلاص من الطاغية فضيلة .
 ولقد نهضت لك الأدلة الناصعة على صدق هذا يا مولاي
 إذ ائتمروا بك عشر مرات بلا جدوى . ولعله غير بعيد

(١) رعديد : جبان .

ان تنفجر الحادية عشرة، وان يكون هذا الطائف^(١) الذي
ألم بك فازعجك انذاراً خفياً أرسلته اليك الآلهة . وما
من وسيلة لها بعده في حفظ حياتك ...

لا تعرض نفسك بعد اليوم لهذه الحن الرائعة وإذا
كان من المستحيل موت المرء وهو سيد العالم فأجل الميتات
لا تعصم من الوصمات ذكرى من يستطيع العيش والتزيد
من المجد .

سناً : إذا كان حب الوطن ينبغي ان يقدم هنا على كل ما عداه
فنفع الوطن هو الأول بان تتوخاه . وتلك الحرية التي
يجلوها إجلالاً ، ليست في عرف روما إلا زعماً في غير
مزعم ، ضررها أكبر من نفعها . ولا تعود على البلاد من
الخير والبركة بمثل ما يعود به عليها أمير صالح يوزع
المناصب بالنظام والعقل ويعاقب أو يثيب^(٢) عن بصيرة
وعدل ، يتصرف بالحكمة في كل شيء تصرف المالك الشرعي
ولا يتعجل في الأمور اتقاء خلف يعاجل به .
اما إذا ساد الشعب فلا عمل من غير تخبط . ولا نصفه

(١) الطائف : ما يرى في المنام . (٢) يثيب : يكافئ .

هناك يرجع إليها فتباع الرتب يبعاً لأشهره القوم إليها .
وتجعل أزمة السلطة في يد أشدهم فتنة . ويضل صغار
الحكام الذين إنما يولون لعام واحد إذ يرون سلطتهم موقوتة
بوقت صغير ، فيضيعون ثمرات الأغراض الجليلة تفادياً
من تركها لمن يأتي بعدهم . وإذا كان نصيبهم من الدنيا التي
يصيبونها قليلاً ، فإنهم يمدُّون الأيدي إلى حقول الناس
يحصدون منها ما طاب لهم ، آمنين غضبة غاضب ، واثقين
بقرب المغفرة ، لأن كلا يأمل أن يعامل يوماً بمثل هذه
المعاملة . فشر الحكومات حكومة الشعب .

اغسطس : ولكنها وحدها هي التي تروق القوم في روما . فقد ارتضع
أبناءؤها بغض الملوك عن لبنان أمهاتهم منذ خمسمائة سنة
ويصعب انتزاع هذا البغض من قلوبهم بعد تأصله .

مكسيم : نعم يا مولاي . ان روما ماضية في علتها ، وشعبها يالف
هذه العلة ويأبى البرء - ملاكه بيد العادة لا بيد العقل .
وهذا الضلال القديم الذي يريد سنّاً محوه هو ضلال محمود
المغبة فتن به القوم ويدينُ به سنّاً نفسه . هو الذي أخضع
لروما العالم بأسره ، ومشأها مئة مرة على هام الملوك ، هو
الذي أفعم خزائنها بالمجلوب من نهب الولايات فما عسى ان

يسديه خير الأمراء إلى هذا الشعب وراء ما ذكرت ؟

وأجرؤ ان أقول ، يا مولاي ، ان الحكومة لا تصيب حظاً واحداً في جميع الأصقاع . فلكل شعب حكومة على وفق طبيعته لا يغيرها مغير إلا وهو في حكم الذي ألحق بها سبّة ومعرّة^(١) . جرت سنّة الله في العالم بالاختلاف والتباين لحكمة وعدل . فمكدونيا تحت الملكية، وسائر اليونان يحبون الحرية العامة، والفرتيون والفرس يرغبون في الحكام المطاعون . وما يصلح للرومان إلا حكومة القنصلية .

سنّا : حقاً ان الله بحكمته الشاملة قد اختص كل شعب بمزية مختلفة . ولكن من الحق أيضاً ان هذه السنّة تتغير بتغير الزمان والمكان .

أخذت روما من الملوك منعتها وكيانها، ومن القناصل مجدها وسلطانها، وهي تتلقى الآن من مناقبك التي تفردت بها نهاية الرخاء وغاية الازدهار . ففي عهدك لم تبقى الدولة

(١) معرة : عار ، عيب .

نهباً للجيوش وقد اقلتَ بيديك أبواب يانوس^(١) ولم يقع
هذا قبلك إلا مرتين : مرة في عهد القناصل ومرة في عهد
الثاني من ملوك روما^(٢) .

مكسيم : وان ما تحدثه الآلهة من تغيير في أحوال الدول لا يريق
دماً ولا يعقب سوءاً .

سناً : من أحكام الآلهة التي لا تبديل لها أننا نؤدي ثمننا غالياً لما
يُولُونَا من الخيرات . فنفي التركينيين خضب أرضنا
بالدم ، وقيام قناصلنا الأولين سامنا الحروب .

مكسيم : إذن فجدك بومبيوس قد ناهض إرادة الآلهة عندما جاهد
في سبيل حريتنا !

سناً : لو ان الآلهة لم ترد ان تفقد روما حريتها لنادت عن هذه
الحرية بيدي بومبيوس . ولكنها شاءت موته ليكون أثراً
جليلاً مؤبداً لذلك التغيير الخطير إذ كانت مدينة لروح
ذلك العبقري بهذا المجد وهو ان تذهب بعد وفاته بحرية
روما .

(١) جرت العادة عند الرومان أن تظل « أبواب يانوس »

مفتوحة أثناء الحرب . فهو يصف عهد اغسطس بعهد

السلم والهدوء . (٢) نوما بومبيليوس .

مضى على هذه المدينة رَدَح من الدهر واسم الحرية
 لم يبق منه إلا بريقه في عينيها . وان عظمة روما نفسها
 لتحرمها التمتع بالحرية . فروما منذ رأت نفسها سيدة
 الخافقين، وغصت خزائنها بالأموال المجيبة إليها، وأخرجت
 من أحشائها التمخضة بوقعات الحروب أفراداً أقوى من
 الملوك فعلاً ومجداً، أصبح كبراؤها يطلبون العلياء بشراء
 الأصوات في الانتخابات ، ويباهون برشوتهم لساداتهم ،
 فيمشي هؤلاء في الأصفاد الذهبية متلقين الأوامر ممن يظنون
 انهم يصدرونها إليهم . وكلا الفريقين في تحاسد . تجري
 الأمور بينهما بالسعايات التي تحولها المطامع إلى عصابات
 فتاكة . فلهذه العلل غار سلاً من ماريوس ، وغار قيصر
 من جَدِّي ، وغار ماركوس انطونيوس منك . أفنتفع
 الحرية والحال كما ذكرت إلا في اذكاء لظى الحروب الأهلية
 عندما تقع الفوضى الموقوَّضة لأركان العالم : فلا يريد هذا
 سيداً ولا يريد ذاك نظيراً ؟

مولاي ، لا بد ، لإتقاذ روما ، من اتحادها في قبضة
 رئيس صالح يطيعه الجميع ، فإذا أردتَ تعزيزها فاتزع
 منها ذرائع الانقسام .

لم ينتح سلاً عن المكانة التي غصبها إلا ليفتح المجال
أمام قيصر وبومبيوس .

ولو أنه أقر سلطانه في اسرته لما أرتنا عوادي الأيام من
المصائب ما أرتنا . ثم ماذا فعل الذي قتل أباه قيصر العظيم ،
سوى انه أثار عليك انطوان باتفاقه مع ليبد ، وهما لم يكونا
ليدمرا روما بسواعد الرومان لو ان قيصر ترك
الامبراطورية بين يديك ..

إذا تركت هذه الامبراطورية عادت الرزايا التي لم تكذب
تتنفس منها الصعداء ، وشبت فيها ، يا مولاي ، حرب
جديدة تؤدي بما بقي فيها من ذماء .

ليهزك حب البلاد ، ولتاخذك عليها الشفقة . ان
روما جاثية تتضرع إليك بفمي ، تدبر ما سمتها من غالي
الثمن لتسئم منصبك . وما أعني انها تستكثره عليك ، فقد
عوضت أكبر عوض عن الكوارث التي عانتها . ولكنها
تخشى بحق ان تؤدي بك الغيرة على سعادتها مع النصب^(١)
من قيادتها ، إلى ان ترد عليها وديعة لا تستطيع

(١) النصب : التعب ، الارهاق .

هي حفظها . فإذا كان لا بد لها من شراء سيد آخر ، وتحت
ان تؤثر مصلحتك على مصلحتها . وان تدخل اليأس على
نفسها بهذه المحن المتعبة ، فإنني لا أجسد على المصارحة هنا
بما أجسر ان أتصوره من مستقبلها . فاحتفظ بنفسك ،
يا مولاي ، واترك لها سيدها الذي بدأ طالعُ سعدِها في
الظهور على عهده . وزد لها في تحقيق الخير الشامل .
فاختر لك وارثاً جديراً بأن يخلفك .

اغسطس : لقد جنحتُ إلى نصحك فحسبنا حواراً . ولئن تكن
راحتي غاية ما أتمنى ، لراحة روما أحبُّ إليَّ . ومهما
قُدِّر ان ينزل بي من الخطوب الجسام فلإني مطمئن إلى
بذل النفس لإتقاذ روما .

لا مطمع لقلبي بعد اليوم في سكون البال وسأنتصح
بنصحك ياسناً فأبقى على الامبراطورية . ولكنني احتفظ
بها وأشركك في الأمر .

أرى جلياً ان قلبيكما أخلصا لي الولاء وان كليكما فيما
أدلى به من رأي لم يرعَ إلا شأن الدولة وشاني . وحبكما لنا
هو الذي أثار ما سمعتُ من حوار . وسأجزل لكل
منكما العطاء .

مكسيم ! جعلتك عاملي على صقلية فاذهب وصرّف
أحكامي في هذا الصقع الخصب ، واعلم أنك تتولاه من
أجلي وانني أحمل تبعه ما تفعل .

وانت ياسنّا ، أعطيك إميليّا زوجاً ، ولست تجهل
انها عندي في منزلة جوليا^(١) . فإذا كان نحس الطالع
والضرورة القاهرة قد أحوجاني إلى القسوة في معاملة أيّها ،
فالآلاء التي أغدقتها عليها بعد ذلك لا بد أن تكون قد
لطفت مرارة مصابها . فاذهب اليها من قبلي وجدّ في كسب
رضاها فانت لها كفء وسيسرّها ما تعرضه عليها من
أمنيتك . إنصّر فابحير وساخر ليفيا بالآمر .

(١) جوليا : بنت أغسطس ، نفاها والدها من روما لسوء
سلوكها . وقد فرض كورناني أنه تبني إميليّا .

المشهد الثاني

سنّا ، مكسيم

مكسيم : ما مرامك بعد هذه الخطب الرثانة ؟

سنّا : هو الذى كان وسيكون أبداً .

مكسيم : رئيس مؤامرة يتملّق الباغي .

سنّا : رئيس مؤامرة لا يريد أن يرى الطاغية بلا عقاب .

مكسيم : أريد أن أرى روما حرّة .

سنّا : وستبين أنني أريد معك تحريرها والانتقام لها . أرى

أوكتافيوس إذن أن غليله قد ارتوى ، وأنه مضى في النهب

فلم يعف عن الهياكل ، وأنه أزهى أرواحنا قرباناً له ، وأنه

ملاً الأرجاء تفضيلاً ، وأفعم روما بأشلاء القتلى ، ثم يحاول

بعد ذلك التخلص من الجريمة بإظهاره شيئاً من الندم ! .

إذا ما استمعت لنا الآلهة وهَمَّتْ بالاقتصاص منه على يدنا

يضمن له رأسه الجبن الذى دعاه إلى الإنابة ؟ لشد ما يكون

في أمثال هذا الترك من مغريات تحفز غيره إلى اقتفاء أثره

في أمنٍ من العقاب .

لننتقم لأبناء بلدنا ، ولنجعل موته عبرة لمن تحدّثه
نفسه بالتاج بعده ، ولنصنّ الشعب من التعرض لبغي
البغاة بعد اليوم، فلو أنه عاقب سلاً لفلّ من عزيمة قيصر.
مكسيم : ولكن مقتل قيصر الذي رأيته عدلاً قد اتخذه أغسطس
حجة لمظالمه . انخدع بروتوس يوم أراد تحريرنا . ولو لم
يقتصّ من قيصر ما تمادى أغسطس في جرأته .

سنّا : إن غلطة كاسيوس وخافوه المفرطة هي التي عادت بالدولة
الى معاناة البغي وأحكام الاستبداد ، ولكننا لن نرى أمثال
هذه الحوادث عندما تنقاد روما لزعماء من أهل البصيرة
وصحة النظر .

مكسيم : ما نزال بعيدين عن أن تتبيّن هل يكون تصرفنا أحكم من
تصرف أولئك الزعماء . على أنه ليس في شيء من سداد
الرأي أن نابى السعادة في أمن ونظمتها تحت خطر الموت.
سنّا : وأقلّ مما ذكرته سداد رأي توهمنا أننا نشفي العلة من
غير أن نستاصل جرثومتها . فاستعمال اللطف في هذه
المداداة إنما هو ترك الجرح يلتئم بعد إفراغ السمّ فيه .

مكسيم : تريد الشفاء دامياً وتجعله أمراً مريباً .

سنّا : وأنت تريده هيناً وتجعله مَعْرَةً^(١) ؟

مكسيم : ليس في الافتكاك من الاصفاذ ما يحمر له المرء خجلاً .

سنّا : ويكون الافتكاك جنباً إذا لم يكن بعمل توحيه البسالة .

مكسيم : ما برحت الحرية على كل حال محبوبة . وهي لروما خير لا يقوم ...

سنّا : ربما لا يكون الخير ذا قيمة عند روما إذا صدر عن يدٍ تعبت من ارهاقها الحرية أشرف قلباً من أن تفرح بأنها فضيلة يهبها الباغي الطاغى بعد أن سامها الحُسف^(٢) والامتهان، وكل من أدرك معنى المجد وأخلص النصر له شديد المقت للمستبد فلا يُقبِل على هداياه وصلاته .

مكسيم : إذن إميليا عندك شيء بغيض .

سنّا : أخذها من يد اغسطس عار علي . أما إذا انتقمت لروما وما عانت من آلام فإنني اقتحم في طلبها حتى السعير^(٣) .

(١) معرة : عار ، عيب .

(٢) الحُسف : الذل .

(٣) السعير : لهيب النار ، والشديد منه .

اجل ! وانني متى أصبحت بعد مقتله جديراً بها ، وضعت
يدي الدامية في يدها ، وتزوجت منها على رفاته . ولتكن
هدايا الطاغية يومئذ ثمن هلاكه .

مكسيم : ولكن ، أيها الصديق ، ما الذي يدلك على الفوز برضاها
يوم تحيثها مخضباً بدم من هو عندها بمنزلة أيها ؟ لا أظنك
من الرجال الذين يعمدون الى الإكراه .

سنّا : في هذا القصر ، يا صديقي ، قد يسترقون السمع ، ولعلنا
شططنا باسترسالنا في الحوار . والمكان لا يؤمن على سرّنا
فلنخرج لآتدبر معك أيسر الوسائل لبلوغ مآربنا .

الفصل الثالث

المشهد الأول

مكسيم ، أوفورب .

مكسيم : لقد باح لي بكل شيء . كلاهما محب وحبيب . هو يهيم باميليا وهي هائمة به . ولكن لا مطمع له فيها إذا لم ينتقم لأبيها ، فهو في سبيل الفوز بها ورطنا في الائتار .

أوفورب : إذن ، فلا يدهشني هذا الجهد الذي يبذله في إكراه اغسطس على الاحتفاظ بالسلطان . ولو نزل قيصر عن أريكته لانحلت العصبة وانقلب المتآمرون أصدقاء له .

مكسيم : انهم لا يبقون ولا يندرون في خدمتهم شهوة رجل يعمل لنفسه وهو يورّي "بالعمل لروما، وكان من مصابي المنقطع

(١) يورّي : يتظاهر .

النظير ان أنخدع فاتوهم انني أخدم روما وما أخدم إلا
منافسي في هوى اميليا .

أوفورب : أنت منافسه في هواها ؟

مكسيم : نعم . احب التي يحبها . وطالما بالغت في كتمان شغفي بها ،
رجاء ان أوفق إلى عمل مجيد اكسبها به قبل ان ابوح بغرامي
المكنون ، ولكني ما لبثت ان رأيته ينتزعها مني بيدي .
ففي قضاء وطره بوارى^(١) وانا معينه على هذا الوطر .
ادني له الفوز وفيه حتفي ، واعيره ساعدي لينحرنى به .
فما اشد تلك الصداقة تقمة عليّ .

أوفورب : المخرج ميسور : اعمل لنفسك وتحاش الضربة القاضية
بترك ممالآته على ماربه ، وباتهام منافسك لتربح عشيقتك .
بذلك تنقذ حياة اغسطس ، فلا يأبى عليك الزواج من
اميليا .

مكسيم : ماذا ؟ أخون صديقي ؟

أوفورب : الحب يبيح كل شيء . والعاشق الصادق لا يعرف له اصدقاء ،

(١) بوارى : خسارتي ، تلفي .

بل من العدل ان يخان الخائن الذي يغدر بسيده في سبيل
هواه . انس الصداقة كما نسي هو الحسنات .

مكسيم : الاقتداء بالمجرمين يجب اجتنابه .
أوفورب : كل عمل جائز في درء ذلك الغرض السيئ . وليس مجرمًا
من يعاقب مجرمًا .

مكسيم : جريمة تحصل بها روما على حريتها !
أوفورب : خف كل شيء من نفس ملئت جبنًا كتلك النفس - ليست
مصلحة البلاد هي التي تحتثها - لا - ولا المجد هو الذي
يذكي شجاعتها . ان هي إلا مصلحة سنا وما كان اثبتة في
الولاء لقيصر لو انه لم يمسسه العشق . وبعد ، فهو كفور
بالنعمة ، ليس من الكرم في شيء ...

اتخالك اطلعت على ما في قرارة نفسه ؟

إنه اخفى عليك ، وراء ستار القضية العامة ، غرامه
المتأجج . ففي وسعه ان يخفي ايضاً وراء هذه الصباة نيران
مطامعه الخبيثة . ولربما حدثته نفسه ، بعد موت اكتافيوس
لا بتحرير روما ، بل باستعبادها ! ولا يبعد ان يكون قد
احتسبك منذ الساعة احد التبع او انه على هلاكك يبني
صروح آماله .

مكسيم : ولكن كيف اتهمه من غير ان اذكر الآخرين ؟ ان المصيبة
تحل يومئذ بالجميع فنغدر اقبح الغدر بولئك الذين انضموا
الينا ولا امنية لهم إلا الخير للوطن. هيهات ان اجد عوناً من
نفسي على مثل هذه الفعلة الدنيئة فيموت الأبرياء بجريرة
واحد ، انتي اجسر على اتيان كل امر للايقاع به ولكنني
اخاف عليهم كل أمر .

أوفورب : لقد تعب اغسطس من كثرة البطش ، وسئم الفتك
والتعذيب ! فهو في مثل هذا الشأن اذا اقتصر من الزعماء
يعفو عن الشركاء ، ثم اذا كنت لا تزال تخشى غضبه على
الآخرين ، فتكلم باسمهم جميعاً ساعة ابلاغه الخبر .

مكسيم : أرانا في حوار لا يجدي ، فمن الجنون ان ارى في نكال
سناً ما يدني اليّ اميلياء وليس مقتل من تحبه وتؤثره على
غيره هو الذي يروق في عينيها الجميلتين. وانا قليل الاعتقاد
ان اغسطس يعطينها . فالذي اريده انما هو استمالة قلبها لا
احتياز شخصها . ولا سبيل الى هذا بغير التحبيب اليها .

(١) نكل به : أصابه بنازلة ، صنع به صنيعاً يحنذره غيره
ويجعله عبرة له .

وهل اتجسب اليها بإساءات ثلاث أو ذمها بها : خيانتني لحبيبها ،
وتقضي ما أبرمت لانتقامها ، وحقني الدم الذي تشتهي
ان يراق ؟

أيُّ أمل يبقى لي بعد هذا في ان تصبو ^(١) إلي ؟
أوفورب : في الحق اني أرى الأمر جدّ عسير ، ولكن الخادعة فيه قد
تفيدك . فانظر في حيلة تجوز عليها ، او دع التدبير للزمن
وهو خير مدبر .

مكسيم : ولكن لو عمد سنّا إلى تخفيف جرمه فذكر إميليّا شريكته
ولو حدث ان اغسطس عاقبها كما يعاقبه ، فهل في وسعي
ان أطلب اليه ، جزاء على بلاغي ان يمنحني تلك الفتاة التي
دفعتنا الى الاثتار بحياته .

أوفورب : لك ان تقيم في وجهي من شتات الصعاب ما لا يذلّ إلا
بمعجزات . ولكنني على ذلك آملُ بفضل الإمعان في
التفكير ...

مكسيم : اليك عني الآن ، وسألحق بك عما قليل ... سنّا قادم وأريد
ان أستوفي منه شيئاً يعينني فيما بعد على عمل أنويه .

(١) تصبو إلي : تحن إلي .

المشهد الثاني

سنا ، مكسيم

مكسيم : أراك مفكراً .

سنا : لا لغير سبب .

مكسيم : هل لي ان أعرف ما يشغلك ؟

سنا : اميليا وقيصر كلاهما يرهقني . هذا بإفراطه في الاحسان إليّ ، وتلك بإفراطها في غلظة الكبد . ألا ليت الآلهة قدرت لقيصر ان يستزيد حبها له او ينقص من حبه لي ، وليت آلاءه^(١) تقع من المليحة التي سبتني موقعها مني فتزيل حنقها كما أزال حنقي . أشعر في قرارة قلبي بالندم اللذاع حين أتمثل كل حسناته تجاه عيني .

ذلك العطف التام الذي أجزيه عنه بالجحود يكاد في كل لحظة يقتلني أسفاً . ولاني لأتخيّل على الدوام صورته وهو يضع في أيدينا سلطانه المطلق ، ويستمتع لمشورتنا ويطرئها

(١) الآلاء مفردها الإلي : النعمة ، الحسنة .

ويقول : « سأستبقي الأميرة أخذاً برأيك، ياسنا ،
ولكنني لا أستبقيها إلا ولك حصّة فيها » أفني صدر هذا
الرجل استطيع إغمد الخنجر ؟

آه ! لا ! ولو .. ولكنني، وآسفاه ، اعبدا ميليا، وقد
اقسمت أيمانا مغلظة على مقته، فكراحتها له تبغضه اليّ ،
وأراني من الناحيتين أسىء إلى مجدي وإلى الآلهة . فانا
مرتكب ما ينكره ديني، أو قاتل ولي نعمتي . اني في الحالين
لغادر .

مكسيم : لم يتبين فيك قبل الآن هذا التردد . وكنت ثابتاً على ما
انتويت ولم يكن في ضميرك من وخزٍ ولا في نفسك
من ندم .

سنا : لا يحسُّ المرء ذلك إلا عند اقتراب الساعة ولا تتضح له
أمثال هذه الجرائم إلا إذا انبسطت يده للعمل . تكون
النفس مأخوذة بغرضها فتتعلق على غير هدى بأول فكرة .
ولكن اذا حققت الحاقة فأى عقل لا يضطرب ، بل أى عقل
لا يروح . وأظن بروتوس نفسه ، مهما قيل في تمداحه ،
قد أراد العدول غير مرّة عما تصدّى له ، وأنه قبل أن

يضرب ضربته قد ساوره من ألم الضمير ما ساور وخامره
من الندم ما خامر .

مكسيم : كانت اريحيته اعظم من ان يتردد ، ولم تهم يده بالكنود^(١)

وكان متحمساً في الايقاع بالطاغية على قدر ما اصاب من
خيره وجنى من ثرات وده . ولما كنت تحذو حذوه
فافعل فعله . واترك وخز الضمير لما هو اجل واعظم .
أليس الأجدر بك ان تلوم نفسك على تلك النصائح المشوبة
بالجن التي نصحت بها اغسطس اليوم ، فحالت دون تجدد
سعادتنا ببلوغنا الحرية ؟ انت وحدك انتزعتها منا اليوم .
ولو امتدت بها قبلاً يد قيصر لتقبلها بروتوس ولم يآبه
لسبب خفيف من انتقام او حب يرد به البلاد الى الحرمان
فلا تستمع لصوت طاغ يحبك ويريد ان يشركك في
سلطانه الأعلى ، ولكن استمع لروما تصيح بك :

« اعدْ إليّ ، اعدْ إليّ ، ياسنّاء ما فوتني اياه بنصحك
لاغسطس ! واذا كنت منذ هنيهة قد آثرت عليّ عشيقتك
فلا تؤثّر عليّ الباغي الذي يظلمني » .

(١) الكنود : الكافر بالنعمة ، البخيل .

سنّا : ايها الصديق لا تتأدّ في انحاءك باللائمة على نفس شقيّة ،
تتناول بالجبين غرضاً كريماً . اعرفُ ذنبي الى ابناء وطني .
وعما قليل سارد عليهم ما سلبتهم ، ولكنني افتقر للمودّة
القديمة ، وهي على شفا^(١) الزوال ، الا تموت من غير ان
تحرك شفقتي .

واتركني ، رحاك ، انتظر اميليا مسترسلاً ما شئت
في كآبتي ، ان كدري يشق عليك ، ولكن الاضطراب الذي
اخذ مني مأخذه يتطلب الخلوة ، فهي التي تسكن ما
يجيش بالصدر من امثال هذه الأكدار .

مكسيم : اراك تريد ان تتحدث الى فاتنتك بكرم اوكتافىوس
وبعجزك . وان الحديث بين العشاق لا يكون الا سرّاً ،
فالوداع وساذهب واكون أميناً كتوماً .

(١) شفا : حافة .

المشهد الثالث

سنا وحده

سنا : سَمُّ باكرم مما سميت ذلك السلطان المجيد ، سلطان النزعة الشريفة التي توحىها إليَّ الفضيحة ، والتي يحول بها الشرف دون الضربة العاجلة يحفزني اليها جحودي وجبني ، بل امض في تسميتها بالضعف لأنها نزعة تدفعه إلى نهاية الوهن^(١) أمام العشيقة فتُبقي على حب كان ينبغي أن تُخمدَ جذوته^(٢) ، ولا تجسُر ، إن هي كافحته ، أن تتغلب عليه .

ليت شعري بأي رأي آخذ ، وإلى أية ناحية أوجه عزيمتي ؟ ما أشقّ الذلة على النفس الأبيّة !

كيفما كانت الثمرة التي أرجو جنيها من بهجة الحب ، أو لذة الانتقام ، أو مجد تحرير بلادتي ، فليست بكافية في إغرائني واستهوائي ، والسبيل اليها هي الخيانة . فإذا كان

(١) الوهن : الضعف في الأمر أو البدن .

(٢) الجذوة : الجمرة الملتبئة .

لا بد ، دون تلك الثمرة ، من طعن خاصرة أمير كريم ،
يُعلي مقداري على رخص مقداري ، ويولينني نهاية الفخر ،
ويسدي إليّ سوابغ^(١) النعم ، ولا يرجع في حكمه وسلطانته
إلى غير نصحي ، فيالأساءة ! يا لخيانة ! لا يقترفها رجل !
لتدم أبداً عبودية روما وليهلك هواي ، وليمت أمني ، ذلك
خير من ان تقترف يدي هذه الجريمة النكراء !

كيف لا ! ! ألم يعرض عليّ كل ما اشتيت مما حركتني
الصباة إلى شرائه بدمه ؟ أفاقتله لأتمتع بعطيّته ؟ أفاصلبه
ما يريد ان يهني^١ ؟ ولكنني مقيد بك أيها القسم الجريء !
يا لحقد إميليّا ! يا لذكرى أيها ! لقد رهنْتُ لكما ضميري
وقلبي وذراعي . فلست بمستطيع فكّاك إلا إذا حلّلتني
من اليمين . عليك ، يا إميليّا ، ان تدبري ما ينبغي ان أفعله ،
عليك ان تمنحي العفو لأغسطس .

إرادتك هي السيطرة على مصيره . وهي التي تجعل
في يدي حياته ومماته ! أيتها الآلهة ! خلّقيها معبودة^١
مثلك ، فاجعلها مستجيبة لتوسلاتي كما تستجيبين ،

(١) أسبغ الله عليه النعمة : أتمها .

وأعينيني على إمالتها الى رغبتى مادمتُ لا أستطيع الخلاص
من سلطانها .
أراها مقبلة ، هذه المحبوبة التي لا ترحم .

المشهد الرابع

اميليا ، سنا ، فلفيا .

اميليا : حمداً للالهة ، يا سنا، كان خوفي لغير ما موجب إذ لم يخنك
أحد من أصدقائك، ولم يكن في الأمر ما يدعو الى وساطتي
في شأنك . لقد قصّ اكتافوس الخبر على ليفيا في حضرتي
فردّ به عليّ روحي .

سنا : أتستنكرين ما جرى؟ وهل ترين ان تؤخري عني التمتع
بالعطية التي جاد بها عليّ؟

اميليا : الأمر في يدك .

سنا : بل في يدك أنتِ .

اميليا : أنا على عهدي ، وقلبي هو قلبي ، وليس الجود بي على سنا
يجود ، بل هو تقدمة ماله اليه .

سنّا : في طاقتك مع ذلك ... يا للآلهة ... أأجسرُ على القول ؟

اميليا : ما الذي في طاقتي ؟ وماذا تخشى ؟

سنّا : إنني أرتجف وأتنفّس الصُّعداء . وأرى انه لو كانت
لقلبي نار غبة واحدة لم تكن بي حاجة الى ذكر السبب في
زفراقي ، أجدني عن يقين مخطئاً رضاك ، ، فلا أجسر على
القول ، ولا أصبر على السكوت .

اميليا : لقد أثرتَ بي الشجون ، فتكلم !

سنّا : طاعتك واجبة . سأتكلم . واذن سأنطق بما لا يُحظيني
عندك ، وسأبوء^(١) منك بالملت . انني أحبك ، يا اميليا .
ولتصعقني السماء اذا لم يكن في هذا الحب كل ما أصبو اليه
من مسرّات العيش ، واذا لم يكن هواي من التاجج بحيث
يبلغ نهاية ما يرجوه محبوب كريم من قلب عظيم . ولكن
تبيّني بأيّ ثمن تهبين لي فؤادك... فإنك من حيث تريدن
لي السعادة تلبسيني ثوب العار... ان احسان اغسطس...

اميليا : كفى ، كفى !... فهمت مرادك . تبينت ندمك وأمانيك

(١) سأبوء : سأقع .

المضطربة ، وأرى ان آلاء الطاغية قد أنستك وعودك ،
فخدمت نيرانك ، وَهَتَّ أَقْسَامَكَ لِدَى مَلْأَطْفَاتِهِ ،
واجترأ عقلك في سذاخته ان يتصور اغسطس ، وهو القادر
على كل شيء ، قادراً ايضاً على إعطائك إياي . فانت تطلبني
من يده لا من نفسي ، ولكن لا يَدُرُّ في خلدك انني أكون
بذلك ملك يمينك .

قد يستطيع اغسطس ان يزلزل الأرض تحت قدميه
وان يخلع ملكاً عن عرشه ، واهباً بلاده لغيره ، وان يخضب
وجه البر والبحر بدماء المغضوب عليهم ، وان يغيّر نظام
الدنيا على ما يشتهي ، أما قلب اميليا فما له عليه من سلطان !

سنا : لهذا لا أطلب هذا القلب إلا اليك ، ولا أريده إلا منك .
إنني عند ظنك بوفائي ، وضميري طاهر كما تعلمين ، والشفقة
التي أشعر بها لا تجعلني ناكثاً بالعهد ، حائثاً باليمين . فلقد
أخَلَصْتُ الطاعة لك في كل ما تمنحين اليه وعقدت العزم على
قضاء مآربك بما يجاوز الأيمان التي أقسمتها . ولقد كان في
مقدرتي ، كما تدرين ، من غير حنث ولا إجرام ان أفوت
عليك تلك الضحية العظيمة : إذ لو أن قيصرَ تخلّى عن

السلطان لأفسدَ علينا كل حجة نحتج بها لقتله، ولا تنقضت المؤامرة ، ولأخفقتُ مطالبك وطاش سهم حقدك .
ولكني وحدي أذهبت عن نفسه الرُّوع ، وأقنعتَه بالبقاء على الملك وتوجته بيدي لأقدمه لك قرباناً .

اميليا : لتقدمه لي قرباناً ، أيها الخائن، وتريد ان أكون أنا التي أُرُدُّ يدك عنه ، وأن يعيش إذن ، وان أرحبَه ، وان أكون الغنيمة لمن أبقي عليه ، والثلث للنصح الذي أمسك به في الحكم .

سنا : لا تسرفي في اتهامي بعد ما قدمت من خدمتك ، فلولاي ما بقي لك من سلطان على حياته. ومع إحسانه إليّ قد وكتلت مصيره الى ما يقضي به الحب . فإما أجهزتُ عليه وإما مننتُ عليه بالبقاء، وما دمت قد وفيت بنذوري الأولى في طاعتك، فاعرفي لي هذا الصنيع بعض نبيء ، واسمحي لي ان أزيل عنك سخطاً غير جدير بك ، واعطفك عليه مثل عطفه عليك .

إن النفس الكريمة التي تهتدي بهدى الفضيلة تفرّ من عار الكنود والخيانة ، وتمتق الغدر ، ولو أنال السعادة ، ولا ترضى بخير الدنيا إذا كان جزاؤه بذل الشرف .

اميليا : ولكنني أرى في هذا العار مجداً لي. ما أنبل الغدر إذا رُمي به الطاعي ! ومتى أريد انتقاذ قوم من عثرات الجد التاسع كان أشد القلوب كنوداً أعظمها كرمًا .

سنا : تحدّثين من الفضائل ما يشاء لك الحقدا !

اميليا : أخلق من الفضائل ما هو خليف بالمرأة الرومانية .

سنا : إن القلب الروماني الأصيل ...

اميليا : هو الذي يجترى على كل شيء في اختطاف حياة مرذولة تستعبده . وانه ليفرّ من عار العبودية فراره من الموت أو أكثر .

سنا : العبودية مع أوكتافيوس عبودية مشرّفة . ولطالما رأينا ملوكاً جاثينَ لدينا يلتمسون مثل عبوديتنا للاعتزاز بها والاستظهار - فاوكتافيوس قد خفض لنا كبرياء تيجانهم، وأدان لسيادتنا عزة سلطانهم، وأخذ منهم الإتاوات^(١) التي تُغنينا ، وخلع عليهم النير الذي خلعه عنا .

اميليا : إن الطمع المزري الذي خامر نفسك قد خدعها إذ أوهمها أنك لم تصبح شيئاً مذكوراً إلا بعد أن أنزلت منزلة أكبر

الائاوات : الخراج ، الرشوة .

من منزلة هؤلاء الملوك .
 تعلم ان ليس في طرف الأرض من يستطيع ان يزعم
 أنه عدل للوطني الروماني .
 لقد جرّ انطونيوس على نفسه أحقادنا وأضعفنا حين
 تدنس بحب ملكة . وذاك أثالُ الملك العظيم الذي شاب في
 الارجوان ، كان لقبه معتق الشعب الروماني . فلما دانت
 آسيا بأسرها لحكمه المطلق ، كان أقل اعتزازاً بعرشه منه
 بنقّب الروماني .

اذكر ، ياسنّا ، محْتدك "وُصْنُ شرفه ، وخذ عن
 الروماني الكرم ، واعلم أن الآلهة لم تخلق غيره ليسود
 ويعيش غير مسود .

سنّا : طالما أرتنا الآلهة في أمثال هذه المؤامرات أنها تسخط على
 القتلة ، وتعاقب كل كنود ، وأنها إذا رفعت عرشاً لم تبالِ
 كيد الكائدين له وانتقمت ممن تسقطه ، وأنها أبدأ في جانب
 الذين آتتهم الملك . فالضربة التي يُقتلون بها يطول معها
 أمد انتراف الدم . وإذا صح عزمها على أخذهم بجرائرهم لم
 تعاقبهم بأيدينا ، بل أرسلت عليهم الصواعق .
 (١) محْتد : أصل ، نسب كريم .

اميليا : قل انك أنت أيضاً تنزع الى جانبهم، وأنت تكل الى الصاعقة
عقاب الطغاة ... لن أخاطبك في شيء من هذا . اذهب
واخدم الطاغية، ونطُ زمام نفسك بنزعاته الواهية وهديء
بالك المتردد بنسيانك النّبعة التي جئت منها ، والجائزة
التي كنت ترجوها . سأعرف كيف أنتقم لبلدي ووالدي
واني غير مستعيرة يدك للأخذ بثاري .

ولعمري لكان لي فخر قتله من زمن مضى لو أن
الحب لم يمسك بذراعي الى الساعة . فالحب هو الذي استعبدني
وجعلني أعنى بحياتي في سبيلك ، كنت أستطيع ان أهاجم
الطاغية وحدي ، فأودي به ويودي بي احراسه ، ولكنني
لو فعلت لحرمتك يومئذ أسيرة ائتمرت بأمر هواك وعاشت
من أجلك وحدك .

على أنني أرَدت الاحتفاظ بنفسي لك ، وتهية السبب
لجعلك جديراً بي . فلم يُجِدني الأمران فتيلاً . إعفي عني ،
أيتها الآلهة العظيمة ، إذا كنت قد خدعت بتوهي أنني
أهوى حفيداً لبومبيوس ، وإذا غرتني الظواهر الخلابه
ووقع اختياري على عبد مكانه، ولكنني أحبك كيف كنت .
وإذا ما سمْتُك ، دون وصالي ، ان تخون مولاك ، فالفُ

غيرك لو استطاعوا بهذا الثمن ان يحفظوا حظوتك عندي
لتنافسوا في قبول شرطي. ولكن اطمئن فلا سبيل لغيرك
إليّ. عش أنت لطاغيتهك المحبب ولأمت أنا لك. ساعجل
عليه وأجلي مرتين بأجله.

ولما كان جبّتك لم يجعلك أهلاً لي فتعال يومئذ وانظرني
غريقة في دمه ودمي ، أموت ولا يصحبني إلا فضيلتي ،
وأقول لك عند احتضاري في نفس راضية : « لا تتهم سوء
طالعي لأنك أنت مسببه » ثم أنزل القبر الذي قضيت عليّ به
يتبعني المجد الذي كان مُعدّاً لك . أموت وقد هدمتُ
صرح السلطان المطلق وكنْتُ أعيش لك لو أنك أردت لي
العيش !

سنّا : أما وهذه إرادتك ، فلا بد من إرضائك . لا بد من تحرير
روما ، ولا بد من الثار للآب ، ولا بد من ضرب الطاغية
ضربات عادلة. ولكن اعلمي ان أغسطس أقل منك استبداداً.
إذا كان قد انتزع منا ما شاء من أملاكنا وأرواحنا
ونسائنا ، فإنه لم يبع إلى اليوم على أرواحنا .
أما الجبروت الذي تتبَسَّط فيه محاسنك بلا رحمة ،

فلا مَرَدَّ لحكمه حتى في الألباب وحتى في المشيئات .

تسوميتني طيبَ النفس بما يسلبني الشرف، وتبغضين
إليَّ ما يدين به ضميري ، وتَحْمَلينني على إراقة دم حقيق
ان أفديَه بدمي ألف ألف مرة ... ذلك مرادُك . فلبَّيك
ساعمد إلى تحقيقه لساعتي إيفاءً لما تقدم به وعدي . غير أن
يدي سترتد الى صدري بالخنجر فتقتل حبيبك قرباناً لرفات
ذلك الأمير الكريم ، وكفارة عن جريمتي التي ساقترفها
بكرهي وبهذين العاملين المتصلين سأستعيد شرفي منذ أفقده !
الوداع ! ...

المشهد الخامس

اميليا ، فلنِيا .

- فلنِيا : لقد ألقيتِ بنفسه في اليأس !
اميليا : ليَخْلُ من حيي ، وليمض الى واجبه !
فلنِيا : سيطيعك ببذل حياته . أراك تبكين !
اميليا : وأأسفاه ! أسرعي وراءه يا فلنِيا ، وإن كنت لي مسعفة ،

أيتها الحبيبة ، فانتزعي منه العزم على قتل نفسه ...
قولي له ...

- فلfia : أقول له انك تعفين عن حياة أغسطس كرامة له ؟
اميليا : آه تحكين على ضغيتي حكماً جدّ ظالم !
فلfia : وماذا أقول إذن ؟
اميليا : قولي له أن ينجز ويبريء ذمته . وليختر بعد ذلك بين
الموت وبينني .

الفصل الرابع

المشهد الاول

اغسطس . اوفورب . بوليكليتس . احراس .

اغسطس : كل ما قلته لي ، يا اوفورب ، يصعب تصديقه .

اوفورب : إن القصة نفسها ، يا مولاي ، مروعة ، فلا يكاد العقل يتصور مثل هذه الحماقة . ولجرح التفكير فيها يُرعد النفس استنكاراً .

اغسطس : ماذا ! أحب الأصدقاء إليّ ماذا ! سنّا ؟

ماذا ! ... مكسيم ؟ .. الاثنان اللذان شرفتهما بعطف سام وفتحت لهما قلبي واخترت لهما المناصب وأنبلها ؟
أبعد ان أضع في أيديهما سلطاني ، يأتمر كلاهما بي لقتلي .

أدرك مكسيم خطاه فأوفد إليّ من ينيهنني وكشف عن
قلب متأثر بالندم الصحيح . ولكن سناً ! ...

أوفورب : سناً وحده مُتَشَبِّثٌ بعتوّه ، متمرّد على إحسانك ، وهو
وحده الذي ما زال يقاوم فعل التدم العادل في قلوب
المؤتمرين ، فيجدّ في تثبيت عزائمهم المزعزعة على ما يختلط
فيها من خوف وأسف .

اغسطس : هو وحده يشجعهم وهو وحده يغريهم !
يا لأعذر من أقلّت^(١) الأرض ! يا لخيانة دُبرّت في
جوف زبانية^(٢) نارية ، يا للضربة الأليمة من يد محبوبة !
خنتني يا سناً !
اسمع يا بوليكليتس (يسر اليه كلاماً في أذنه) .

بوليكليتس : أوامرك ، يا مولاي ، ستنفذ كلها .
اغسطس : وليذهب إيراّست أيضاً فيحضر مكسيم لينال العفو
عن ذنبه .

(١) أقلّت : حملت .

(٢) زبانية : أشخاص مهمتهم دفع أهل النار إليها .

أوفورب : رأى ، يا مولاي ، جرمه عظيماً فأبى الا الاقتصاس من نفسه ، وعاد من القصر زائغ العين ، وحشي النظرة ، مليء الصدر بالزفرات ، يمقت الحياة ويستقبح تلك المؤامرة المذمومة التي أفضى الي مجليّة أمرها كما أخبرتك بها ، وأوصاني بأن أحذرُك شرّها ثم قال : « إني أقضي بنفسي على نفسي ، فلست أجهل ما أستحق » . وعلى أثر قوله هذا وثب فجأة الى نهر التبر فجال الماء الغزير المتدفع ، وسواد الليل بيني وبين معرفة الخاتمة من فاجعته .

أغسطس : هلك المسكين بما اشتد عليه من وخز الضمير . وتوارى عن عفوي ، ما من ذنب إليّ لا يمحوه الاستغفار . فأما وقد زهد في مغفرتي ، فاذهب واقض ما بقي ، واجعلهم يُعْنَوْنَ بحفظ هذا الشاهد الصادق في مكان أمين .

المشهد الثاني

أغسطس : أيتها الآلهة ! من ترين بعد اليوم أستودعه أسرار نفسي .
وأكلُ اليه العناية بحياتي ؟ خذي السلطان الذي منحتنيه
إذا كان يعطيني رعايا ويحرمني الأصدقاء . استردِّيه إذا
كان حظ من يلي ذلك السؤدد الأعلى ان تكافأ حسناته
بالأحقاد والأضغان ، وإذا كان قضاؤك الشديد يجري على
الملوك بأن يجبوا الذين تدفعين بهم الى إهلاكهم ؟ من قدَّر
على كل شيء وجب عليه ان يحذر كل شيء .
ثُبِّ الى نفسك يا اوكتافيوس وكفَّ عن الشكوى .
ما هذا ؟ أتريد ان يَسْتَبْقُوكَ وأنت لم تُبق على أحد ؟ .
تذكر أنهارَ الدم التي غمست فيها ذراعك : فكم احمرَّت بها
ساحات مكدونيا ، وكم تدفق منها في هزيمة انطونيوس !
وكم انهمر في هزيمة سكتوس ! ثم عد بنظر الفكر الى
مدينة يروزة غارقة في مهج أبناءها جميعاً ، ولا تنس المجازر
الأخر المتعددة ، وما عَقَّبَتْ به عليها أحكامك الجائرة
من الصور الدامية ! إذ تكون أنت فيها جلاَّدَ أهلِكَ فتغمد

المدية في صدر الوصي عليك ، وبعد كل ما قدمت تجرؤ
على اتهام القدر بالظلم عندما ترى الأقربين اليك يهثوث
السلاح ليقبضوا منك حاذين حذوك في العمل على بوارك ،
منتهكين حرمة الحقوق التي لم ترعها أنت من قبل .
لحياتهم عدلٌ والسما قد أذنت بها . خل عن عليائك
بمثل ما أخذتها وأردد دمك الغادر الى الغدر ، وتلق ضم
أهل الكنود بعد ان كنت كنوداً . ولكن أتند^(١) عني
سلامة الرأي وأنا أحوج ما أكون اليها .

اي سنأ !.. ما تلك الثورة الحمقاء التي تضعني موضع
الاتهام وتغتفر لك وزرك ، وانت الذي اضطررتني بخيانتك
الى استبقاء الحكم لتعاقبني عليه وتعاملني معاملة مجرم ،
على ان الذنب لك . تقيم من التداعي عرشاً غير شرعي ،
لتعود فتحطمه ، وتبدي غيرة وقحة تستر بها جريرتك ،
فتحول دون سلامة الدولة لقضاء مآربك ، وان هو
الا هلاكي .

هل يسعني إرغام نفسي على نسيان كل هذا ؟ أتركك

(١) أتند^١ عني : أبتعد عني .

تعيش في راحة بعد ان اخفقتي ؟ كلاً . كلاً . اخيانة
مني لنفسي ان أفكر في هذا. والمتسامح في العفو إنما يحرص
على نفسه ، فلا عاقِبَ القاتل ولا تزلَّ البلاء في شركائه !
ولكن ماذا ؟ أدم في كل يوم ؟ أقصاص في اثر قصاص ؟ لقد
تعبت قسوتي ، وليست تستطيع الوقوف عند حد !

اعمل على ان يخشوني ، فلا أصل إلا إلى استفزازهم .
ان في روما لثعباناً كثير الذراري يلتمس حتفي : فمن
الرأس الذي يقطع ينبت الف راس . وإراقة دماء الف من
المؤتمرين تزيد ايامي لعنة ولا تزيدني تمكيناً .

يا اوكتافيوس ! لا تنتظر بعد اليوم طعنة من بروتوس
جديد . مُتْ واختلس منه مجد إسقاطك ... مُتْ ... فما
تبذل للعيش إلا جُهداً عقيماً يعتوره الجبن ، ما دام جمٌّ
غفير من سراة القلوب يتمنون موتك ، وما دام جميع من
حوّت روما من شباب نبلاء يعملون فوجاً بعد فوج على
ثبورك ^(١) ، مت ما دامت علتك تأبى الشفاء ، ثم مت ما
دام محتوماً ان تفقد كل شيء وان تموت .

(١) ثبورك : هلاكك .

إن الحياة يسيرُ أمرُها ، والقليل الذي بقي لك منها
لا يساوي ان تؤدي فيه ثمنًا جدَّ مشؤوم .
مُتٌ ولكن لا يكن تركُك الحياة بغير رواء ساطع .
اطفيء مشعلها في دم الكنود ! واذبح قرباناً لنفسك الزاهية
هذا الخائن ! جعل وطره قتل وليّ نعمته ، فلا تقص له
وطرا " إلا حين تذيقه نكال جرمه ، فلنمت معاً . ولأورثه
حسرة أن يرى مصرعي ولا يتمتع به .
بل لنتمتع نحن بقتله ، وإذا أبغضتنا روما فلننتصر
على بغضائها .

أيها الرومانيون ! أيها الانتقام ! أيها السلطان المطلق !
أيها العراك الشديد ، في قلب مُبلبل لا يفتأ ينقض ما يبرم ،
أشيروا على الأمير الشقي بشيء ... أي السبيلين اتبعوا أيهما
اتجنب ؟ دعوني أهلك أو دعوني أملك .

(١) وطر : رغبة غاية .

المشهد الثالث

اغسطس ، ليفيا .

اغسطس : خانوني ، يا سيدتي، واليد التي شرعت لقتلي ذكّتُ صبري
تحت أثقال الغموم . سنّا ، سنّا الحائن ! ...

ليفيا : أنباني أوفورب بكل شيء ، فعلاني الاصفرار مائة مرة ،
يا مولاي ، من سوء ما سمعت . ولكن أتصغي لنصيحة
امراة ؟

اغسطس : وأسفاه ! اي نصح أستطيع ان أنتصح به الآن ؟

ليفيا : لم تعقب قسوتك إلى الآن ، يا مولاي ، ثمرة ما . ولكنها
أحدثت كثيرا من الضجيج . وما من أحد يرتدع لما حلَّ
بغيره من المثلات . إن سالفيديانوس بنكبته أثار لبّيدس
وأعقبه مورينا ثم جرى مجراه شيبّيو ولم يحدث يومها
الأغرب خوفاً يفلُّ من عزبٍ "اينياس في غضبه. واينياس
قد حلَّ محله سنّا اليوم .

(١) عزب : همة ، عزم .

وصارت الحال إلى ان النكرات التي هي في أخط^ة
الطبقات اشرأبت إلى تشريف أسمائها بأمثال هذه المرامي
العظيمة . فجرب إذن في سناً ما يستطيعه الحلم بعد إذ لم
يجدك ما أنزلته بأولئك الأوقاح من قصاص .

إجعل عقابه في خجله واستخزائه ، ولذ^ة بانفع الامور
في مثل هذا الموقف ، فقد يحفظ قصاصه هذا البلد^ة الثائر ،
وقد يخدم شهرتك العفو^ة عنه فيرتد^ة الذين تجرح صدورهم
شدتك الى الثائر بجودتك وسماحتك .

اغسطس : لنملك قلوبهم كافة بترك هذه الامبراطورية التي جعلتنا
مرذولين يؤتمر^ة بنا . كثر ما استشرت في هذا الترك أخذاً
بأرائك ، فلا تكلميني فيه بعد ، فقد مللت ولن أستشير
أحدًا . كُفّي عن الزفرات ياروما ابتغاء حريتك ،
ساحط^ة بيدي الأصفاد التي كبَلت^ةك بها ، وأرد^ة عليك
الدولة بعد أن احتز^ةتها ، أهدأ بالاً وأعظم شأنًا منها يوم
أخذتها ، فإذا أردت^ة السخط علي^ة فاسخطي منذ الساعة
بغير رياء ، وإذا أحببتني فأحبيني بلا خوف . سئمت
السطوة كما سئمت^ة سلاً ، فطمعي سعادته بعدما أحرز من
قوة^ة وشرف .

ليفيا : لظالما أغراك مَثَلُ سَلاَّ . ولكن احذر ان تلقى غير ما لقيه . فالسعادة الفِذَّةُ التي حاطت حياته ، لو تكررت وسَهَّلَ على كل واحد نيلها ، ما كانت سعادة .

اغسطس : لئن كان سَلاَّ يسموني بما لا مطمع لي في إدراكه ، ولئن كنت على غير هدى في التطلع الى الفوز بما فاز به ، لإباحة دمي لمن يريد أن يريقه هي الرأي . بعد طول العاصفة ، يجب اللِّياذُ بمرقا ، ولست أرى غير مأمنين ... الراحة او الموت .

ليفيا : ما خطبك ؟ أتصدف عن ثمرة تلك الفعال الجسام ؟
اغسطس : وما بك ؟ أتريدين الاحتفاظ بما يثير عليَّ كل تلك الأضغان ؟

ليفيا : لقد شططت يا مولاي الى الحد الأقصى ، وهذا يأس لا كرم .

اغسطس : إن مُلكاً يضطرُّ صاحبه الى ملاطفة اليد الخائنة لمظهر من مظاهر الضعف لا من مظاهر الفضيلة .

ليفيا : بل هو تملك منك لنفسك ، وبه يتسنى لك ، عن خيار ، أن تمارس من الفضيلة ما هو جدير بالملوك .

اغسطس : وعدتني بنصائح امرأة ، وصدقت وعدك ، يا سيدي ، بما ادليت به . إنني ، بعد أن صرعت كثيراً من أعدائي ، وبعد عشرين من السنين في الحكم ، لا أجهل مكان القوى منه ، وأعلم ، في مثل حالتنا ، ما واجبات الأمير بمختلف نُظُمها . التأمير يحرج الشعب ، ومجرد التفكير فيه جريمة في حق الدولة وإهانة للمملكة بأسرها . فإما أن ينتقم لها الأمير ، وإما أن يترك الامارة .

ليفيا : لا تثق كل الثقة بما تمنيك شهواتك .

اغسطس : أقلي أنت من الضعف او من الطمع .

ليفيا : لا تجابه بمثل هذا السوء حسن النصيحة .

اغسطس : السماء توحى إليّ ما ينبغي أن أفعل . الوداع ! إننا نضيع الوقت .

ليفيا : لست أتركك ، او يبلغ حيي منك ، يا مولاي ، ما أشير به عليك .

اغسطس : حب العظمة هو الذي يدعوك الى اللجاجة .

ليفيا : أنا احب شخصك لا مكانتك .

(على انفراد) يريد ان يفلت ، فلا تتبعه ولأمكن من
نفسه الإقتناع بأن العفو يؤيد سلطانه وبأن الساحة أجمل
مزية في العالمين يمتاز بها الملك الأصيل .

المشهد الرابع

اميليا ، فلفيا .

اميليا : من اين جاءني هذا الفرج ؟ ومالي أراني ، بغير اختياري ،
أَتَدَوَّقُ الراحة كلها في غير أوانها ؟ طَلَبَ قيصِر سَنَّا . فلم
يصعد قلبي الزفرات ، ولم تجد عيني بالعبرات ، كإنما
هَجَسَ في خاطري هاجس ، إن الأمور ستجري على ما
يرضي . أمن هاجسي سمعت هذا القول يا ترى أم منك
يا فلفيا .

فلفيا : لقد استوثقتُ منه بأن يستمسك بحياته ، وأردت المجيء به
إليك أَلَيْنَ عريكة وأسلسَ مقادة ، ليبذل جهداً آخر في
تسكين غضبك ، فبينما أهنيء نفسي إذ وفد بوليكليتس
الذي تعرفين إنه ترجمان أغسطس ، وَفَدَ بلا تَبَع ولا
ضجّة ، واستصحبه تَوْأماً إلى القصر .

زعموا ان اغسطس في اضطراب عظيم لم يعرف أحد^١
سببه، واختلفت التأويلات في هذا الشأن . ولكنها اتفقت
على ان أمراً عظيماً أهمه ، وانه استدعى سناً ليستشير
فيه. ولكن الذي حرّت في معرفته هو ان رجلين مجهولين
قبضا على ايفندر ، واب أوفورب أيضاً قد احتجز ولم
يعرف أحد السبب، ولغطوا في سيدة بما لم أدره فعزوا اليه
اليأس الشديد، وذكروا الماء ونهر التبر وأمسكوا عن البقية.

اميليا : ما أكثر بواعث الخشية ودواعي اليأس! على ان قلبي الحزين
يأبى بثّ ما به ، وكان الآلهة ، كلما طرأ أمر، تبعث فيه
شعوراً مخالفاً لما ينبغي ان يشعر به . لقد أخذتني منذ حين
رهبة موهومة ، والآن أجدني غير آبهة لها ، وحقى ان
أشفق منها .

طوعاً لك أيتها الآلهة العليا ! نَعَمْك التي أحمدها لا
ترضى لي بخدش الشرف ، وقد أكرمتني عن التأوّه
والتنهّد والاستعبار، لتشدّي أزر فضيلتي في قراع المصائب.
تريدين لي ان أموت على شجاعتي الكبرى التي دفعت بي الى
ذلك المطلب العظيم ، وسأموت مذعنةً لما أردت ، وفي
الموقف الذي جعلتني فيه .

يا حرية روما ! يا روح أبي ! لقد قُتُّ ، من جهتي ،
 بكل ما أستطيعه . فآلَبْتُ على الطاغية أصدقاءه ،
 واجترأت في سبيلكما على أكثر مما هو من شأني . فإذا فاتني
 الغرض لم ينتقصُ فوته مجدي . وإذا لم أحظْ بالانتقام لكما
 لحقت بكما ، ومت يسطع من جوانبي دخان الغضب العادل
 المتقد ، ميتةً نبيلةً جديدةً بكما وبدَم الأبطال العظام
 الذين أنبتوني .

المشهد الخامس

مكسيم ، اميليا ، فلفيا .

اميليا : هذا انت يا مكسيم ، وقد قالوا إنك مت ؟
 مكسيم : خَدَعَ أوفورب اغسطس بهذا النبا الكاذب ، إذ رأى
 نفسه مقبوضاً عليه ، وقد انكشف سرُّ المؤامرة . فلفق
 نبا هلاك لي يقيني الهلاك .
 اميليا : وماذا يقولون عن سنا ؟
 مكسيم : إنه أسفَ شديد الأسف عندما رأى أن قيصر على علم بكل

شيء ، فحاول الإنكار والتصلُّ من معرفته ، فلم يُجِدْهُ ،
لأن ايفاندر كان قد باح بكل شيء ، ملتصقاً بذلك المَعذرة
لسيده . وبأمر من اغسطس جاؤوا للقبض عليك .

اميليا : إن من تلقى الأمر قد أبطأ في انفاذه . انا متأهبة لاتباعه
عادمة الصبر في انتظاره .

مكسيم : هو في انتظارك عندي .

اميليا : عندك ؟

مكسيم : تستغربين الأمر ، ولكن اعلمي ان الآلهة راضية عنك ،
فالذي ينتظرك هو أحد المتأمرين وسيقرُّ معنا . فلنُبادر
قبل ان يتعقبونا . وعلى الشاطئ ، سفينة مهيأة لسفرنا .

اميليا : أتعرفني يا مكسيم ؟ أتدري من أنا ؟

مكسيم : افعل في مصلحة سنّا ما أستطيعه ، وأحاول في هذا المصائب
الجليل ان أتقذ أجمل شطر تخلف منه . فلننْجُ يا اميليا
ولنُبْق على حياتنا ، حتى إذا ما عاد الينا الخطر انتقمنا له .

اميليا : سنّا في مصابه من أولئك الذين يجب اتباعهم على الأثر ،
والذين لا يُثارُ لهم خوف استطالة الحياة بعدهم ، فمن تسوّل
له نفسه الفرارَ بعد سنّا ليس جديراً بالحياة التي يجدُّ
في حفظها .

مكسيم : ايُّ يأس أعمى يَحْمِلُكَ على هذه الحماقات ؟ يا للآلهة من
فَرَطِ الضعف في هذه النفس القوية .

إن هذا القلب الكريم لَتَسْهِي عَزِيمَتُهُ دون الكفاح
فَيَسْتَسْلِمُ عند أول عَثَرَةٍ .

إستعيدي ، إستعيدي تلك الفضيلة السامية او افتحي
عينيك واعر في مكسيم ، إنك لَتَرَيْنَ فيه سَنًا الثاني وقد
وقد رَدَّتْ الآلهة به عليك الحبيب الذي فقدته ، وإذ إن
المودَّة لم تجعل منها إلا نفساً واحدة ، فإِحْبِي في هذا
الودود ذلك الذي كنت تحبين ، إنه لكفيل بأن يهواك مثل
هواه ...

اميليا : أتَجْتَرِءُ على حبي ولا تجترىء على الموت ؟ لقد شططت
في دعوائك ! ومهما يكن من هذه الدعوى ، فلا أقل من ان
تجعل نفسك أهلاً لمن تطلب . أَكُفُّفُ عن فرارٍ كفار
الجبان من موتٍ مجيد ، او عن تقديم قلب لي نزلت به الى
حضيض التسفل .

إفعلْ ما يغضب إعجابي بفضيلتك التامة ، فإن لم
أستطع حبك أَسِيتُ عليك ! أَظْهِرْ من الروماني الأصيل
آخِرَ بأسه ، واربح عبراتي إذا عداك قلبي .

يا عجباً ! أتظنُّ أن محبتك لسنَّا واهتمامك بأمره
ينحصران في تملُّق عشيقته ؟

تعلِّمُ ، تعلم مني الواجب في مثل ما نحن فيه ، وأورد
لي المثل أو أقبيلُ فخذهُ عني .
مكسيم : إن أَلَمَكِ الصادق لَجِدُ شديد .

اميليا : وإن أَلَمَكِ لملوء بلطف الحيلة لا تشتهي . كنت تكلمني
الساعة في رجعة للأيام سعيدة ، وتشرُّهُ الى الحب في فورة
أحزانك .

مكسيم : هذا الحب أمره عجب ! فما يكاد يولد حتى يبلغ أشده ،
وإنما أحب فيك حبيبك وصدوقي وبالقوة نفسها التي كانت
مشبوبة فيه للغرام .

اميليا : مكسيم ! لقد عدَّوتَ في حديثك ما لا يعدوه الرجل
الحصيف ، أدهشني النذير بهلاكي ولكنه لم يذهب بلبسي .
كما ان ياسي النبيل لم يُعْمِنِي . ففضيلتي يجماع قواها تفعل
فِعْلُهَا غير تاركة للجزع مأخذاً عليها ، وبكرهي ان أرى
أكثر مما كنت اريد رؤيته .

مكسيم : ترين ماذا ؟ هل اشتبهت في غدر مني ؟

اميليا : نعم ، أنت غادرٌ . أقولها وانت أردت ان أقولها، إن أمر
فرارنا مدبرٌ تديراً ، أظهر من ان لا يعلق به الريب ولا
يُشتق منه جبنك .

لقد كانت معجزات الآلهة تتكاثر علينا ، لو أزال
العقبات التي تعوقه ولم تنطُ بك شيئاً من أسباب إزالتها ،
أهْرُبُ دوني فغرامك هنا ليس إلا فضولاً .

مكسيم : آه ! لقد أسرفت لي في القول .

اميليا : وما أضمره أبلغ ! لا تخشَ ان أنهال عليك باللواذع المهينة ،
ولكن لا تظن انك تموه عليّ الأباطيل وتحملني على الحنث
فإن يكن حقاً ان اشتباهي فيك يشق عليك ، فتعال مُتٌ
معي لتبريء نفسك .

مكسيم : عيشي ، يا إميليا الجميلة ، وائذني لعبدٍ ...

اميليا : لن أستمع لك إلا في حضرة اوكتافيوس . هلمّي يا فلنيا
هلمّي !

المشهد السادس

مكسيم : يا ئس ، متخبط ، جدير بأشد من هذا الاطراح القاسي لو كان مستطاعاً . فماذا تفعل يا مكسيم ؟ او ما هو القصاص الذي تُعدّه فضيلتك لريائك الذي لم يثمر ؟ . لا غرور ولا اغترار بعد الآن .

إميليا ، في موتها ، ستفضح كل شيء ، ومن المقصلة^(١) التي تفيض عليها روحها سيطل مجدها وإلى جانبه عارك . وسيترك موتها للخلف أسوأ أحداث عن مكرك وغدرك . فقد جمعت في يوم واحد ، عدّاك فيه الصواب ، خياناتك للملك ، وصديقك ، وهواك ! وانتهكت كثيراً من الحرمات في يوم واحد ، وقدمت عاشقين قرباناً للطاغية ، فلم تحجّن من كل هذا إلا الشنار^(٢) والغيط والحنق ، يشعلها في نفسك وخز من الضمير لا يجدي !

اي اوفورب ! أهذا فعلٌ نصحك الملوء جبناً ؟

(١) المقصلة : آلة لقطع رأس المحكوم .

(٢) الشنار : العار .

ليت شعري ، ماذا كان يُنتظر من أمثالك ؟ لا يكون
 المعتق إلا عبداً غادراً ، تتغير حاله ونفسه لا تتغير .
 أما نفسك فلا تزال في العبودية لم تستطع في الحرية ان
 تقبَسَ قبساً من الكرم . حملتني على صيانة سلطان جائر
 وعلى إتيان ما يكذب شرف أصلي ، وَقَاوَمَكَ قلبي
 فجعلت تكافحه حتى لوَّثَ خداعك فضيلته ، فاضاع عليَّ
 الحياة وأفقدني المجد . أنا الجدير بكل هذا لأنني صدقتك ،
 ستبيح الآلهة لي ان أسفك دمك بمرأى من الحبيبين . ويومئذ
 أجتريء فأؤكد ان دمي ، وان حملَ أثر جرمي مقدمة لهما ،
 لا يخلو من النقاء ، إذ أكون قد بطشت بك عدلاً ،
 وغسلتُ بدمك جريمة الاستماع لك والركون اليك .

الفصل الخامس

المشهد الاول

اغسطس ، سنّا

اغسطس : خذ مقعداً يا سنّا ، خذ ، والزم قبل كل شيء حدّ الأمر
الذي أمرك به . أعرّ سمعك حديثي ، ولا تبلبني ، ولا
تقطع عليّ القول بكلمة او صرخة ! قيّد لسانك . وإذا
شقّ عليك ، مع موقع القول منك ، ذلك السكوت إلى مدى
طويل ، ففي وسعك ان تجيبني بعده بما يبدو لك ، هذا ،
لا سواه ما أرغب فيه اليك ، فامتثلّه .

سنّا : إنني مُطيعُك يا مولاي .

اغسطس : تذكر وعدك بالاستماع صامتاً وسانجز وعدي . ولدت يا
سنّا ينميك آباء كانوا أعداء أبي وأعدائي .

في معسكرهم كان مولدك . ولما دخلت بعد موتهم في
 حيز سلطانني ، كان حقدهم متصلاً في قلبك ، فسَلَحَ
 ذراعك لقتالي . كنت عدوي ولما أُتَخَلَّق . وكنت كذلك
 بعد أن عرفتني ولم تُكْذِبْ نزعتك يوماً ما . ذلك الدم
 الذي رمى بك في الحزب المساوي لي ، بل صدقته أعمالك
 بقدر ما استطعت ، على انني لم أنتقم لنفسي إلا بالإبقاء على
 حياتك ، واتخذتك أسيراً لأغمرك بالآلاء ، فكان قصري
 سجنك ، وعطفي عليك قيدك ، ورددت عليك في البدء
 عقارك . أغنيتك بأسلاب انطونيوس . وتعلم انني ما
 تركت بعد ذلك فرصة إلا أغدقت فيها النعم عليك إغداقاً ،
 فما طلبت إليّ من مناصب منحتك إياها في الساعة ، ولم
 أَسْمُكْ عناء ، حتى لقد آثرتك على الذين كان آباؤهم في
 الصفوف الاولى من جيشي ، وعلى الذين اشتروا الامبراطورية
 بدمائهم ، وحفظوا إليّ النعمة التي أنستهم . فكان ،
 بإيجاز القول ، تصرفي في جانبك تصرفاً يثير في قلوب
 الغالبين الغيرة من سعادة المغلوبين . فلما أرادت الآلهة بعد
 إقبالها أن تريني بعض الادبار وقبضت اليها ميسين ،
 أحلتك محلّه ، وجعلتك بعد حادثه الاليم أوفى أمين .

إيَّ ، وفي اليوم الذي اضطربت فيه نفسي ، وحدثني
بأن تخني عن سلطاني المطلق لم أستنصح غير مكسيم وغيرك ،
وعوّلت على رأيك دون رأيه ، ثم قلّدتك لساعتي مِنّة من
أعظم المنن ، فأعطيتك اميليا وهي مناط أماني ايطاليا
بأسرها ، جعلتها من حيي ومن عنايتي بحيث ، لو توجّجتُك
ملكاً ، لكن الجود عليك بالتاج أقلُّ من الجود بها . تتذكر
ذلك يا سنّا ! وليست كل هذه المآثر ولا كل هذه المفاخر
مما ينسى على عجل . أما الذي لا يتصوره عقل ، يا سنّا ،
فهو ان تذكر كل هذا ، وتريد قتلي .

سنّا : أنا يا مولاي ؟ أنا ؟ أتكون نفسي من الخيانة بحيث يخطر
مثل هذا الفرض السافل ؟ ...

اغسطس : أراك تسيء إنجاز وعدك . اجلس . لم أقل بعد ما اريد .
بريء نفسك فيما بعد إن استطعت . والآب استمع وكرز
أوفى بعهديك .

تريد ان تقتلني غداً ، في الكابيتول ، وقت القربان ،
وأن تضربني بيدك الضربة القاضية عوضاً عن تقديم
البخور ، فتكون الضربة العلامة ، ويكون نصف رجالك

قد احتلوا الباب ، والنصف الآخر وراءك لشدّ أزرع !
 أعلى علم صحيح أنا أم في شكوك فاسدة ؟ .. أسرد لك
 أسماء أولئك القتلة جميعاً ؟ بروكول ، غلابريوت ،
 فرجينيان ، روتيل ، مارسل ، بلوت ، ليناس ، بومبون ،
 البان ، ايسيل ، ثم مكسيم الذي آثرته بمودّتي بعدك ،
 والآخرين أدنى من ان يُشرّفوا بالذكر ، فهم قبضة من
 رجال ضيعتهم الديون والجرائم ، وأرهقتهم قوانيني
 وأوامري الشرعية فيئسوا من التخلص منها ، فلا عيش لهم
 ما لم يُهدّم كل شيء ، وينقلب كل نظام .

تسكت الآن ، ويلزمك الصمت استخزأك أكثر من
 طاعتك ... ماذا كان غرضك وما مدّعاك ؟ أهو بعد أن
 تصرعني تحت قدميك في الهيكل ، تحرير بلدك من الحكم
 الملكي ، فإن لم يفتّني إدراك سياستك التي بسطتها منذ
 هنية ، فلا سلام لهذا البلد إلا بأن يتولاه من يقبض على
 جميع الأمر بيده ، ليحفظ كل شيء ! ولو أن بُغية الحرية
 هي التي استفزّتكَ للأمر الذي انتوّيته^{١١} لما منعّني من

انتوّيته : عزمت على فعله .

رَدَّ هذه الحرية على أهلها ، بل لتقبلتها مني باسم الدولة من غير أن تعمل على سلبها مني بالقتل .

إذن ما كان غرضك ؟ أهو الاستئثار بالأمر مكاني في الدولة ؟ كشدَّ الخطب الذي يهدد مصيرها إذا كانت السبيل الى ارتقائك العرش وإصدارك القوانين لا يعترضها في روما من عائق سواي ، وكشدَّ ما يُرثى لتعس روما يوم تكون أظهرَ من فيها بعدي ، فلا يقع عبء الامبراطورية الثقيل إلا في يدك وقد قضيتُ نحبي .

تعلمُ أن تعرف نفسك ، وانزل في أغوار سريرتك ، يحدونك في روما ويتملقونك ويحبونك ، وكل يحشاك ، وكل يرجوك . نجمك في علوِّ ، وتقدر على كل ما تشاء ، ولكنني لو تركتك ومحض شأنك لَعَثَرَتَ عشرةَ يرقُّ لك من جرَّائها حتى الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة ، أتجترء أن تكذبني ؟ قل لي ما مقصدارك ، واسردْ على سمعي فضائلك ومجيد أفعالك ، ووصف مزاياك النادرة التي رُقَّتْ في عيني من أجلها ، واذكر لي ما الذي رفعتك عن صف العامة .

عظفي عليك هو سبب مجدك ، ومنه استمددت حولك

وَطَوَّلَكَ ، فهو وحده الذي سَمَّا بك وهو الذي يؤيدك ، ثم هو الذي يعبدون ، لا شخصك ، ما لك من أيدي وكلمة مسموعة إلا بقدر ما يُفيضه عليك ذلك العطف مني .

ويكفي لتدهورك منذ اليوم ان أقبض اليـد التي أنصرك بها . غير أنني أرغب في مجاراتك ، وأنزلُ عند أُمْنيتك . أحكم من بعدي ان استطعت الحكم . ولكن أتجترئ على الظن بأن أمثال سرفليان وكوس وميتلوس وبولس وفايان ، وأضراهم الكُثُر من الأبطال الشجعان الذين تحدروا من أصلاب أبطال شجعان يتخلون لك عن الاعتزاز باصولهم الرفيعة ويتسامحون في ان تصبح ملكاً عليهم ؟ قل ! تكلم ! آن أو انك .

سنًا : أنا في خبال وذهول ، لا غضبك ولا الموت يرهبني . أراهم قد غدروا بي وأنا أفكر وأبحث عن الغادر ، فلا أهددي اليه . ولكن حسي انصرفاً بكل نفسي إلى تبين من الذي أفشى سري ، أيها المولى ، انا روماني ومن دم بومبيوس . وقد ذبح الأب والولدان غدراً . فموت قيصر في الانتقام لهم قليل .

هذا هو السبب الأوحـد والأسمى في غرضي النبـيه ،

وما دامت الحيانة قد عرضتني لنقمتك ، فلا ترقب مني
ندماً دينياً . ولا أسفاً عقيماً . ولا زفرات مخجلة . الحظ
مُقبلٌ عليك . مُدبر عني ، وأعلم ما فعلت وما عليك ان
تفعل . اضرب مثلاً للخلف وان في موتي لأمناً لك .

أغسطس : انت تتحدّثني يا سنّا . وتتصنع التعالي ، وتؤيد جرمك
بتجنب الاعتذار . فلنتظر هل يستمر ثباتك على هذا إلى
النهاية . انت تعرف ما حُقّ عليك ، وترى انني واقف على
كُنّه أمرك ، فأصدر حكمك على نفسك بنفسك . واختر
لك ما تؤثر من قصاص .

المشهد الثاني

ليفيا ، أغسطس ، سنّا ، اميليا ، فلفيا .

ليفيا : لم تعرف بعد كل المشتركين في المؤامرة . إن إميليا في جملتهم
وها هي حاضرة يا مولاي .
سنّا : هي بنفسها ... يا للالهة !
أغسطس : وانتِ أيضاً ، يا ابنتي ؟

اميليا : نعم ! ما فعله ، فعله في سبيل رضاي . فانا ، يا مولاي ،
كنت السبب وكنت الجزء .

اغسطس : وي ! أهو الحب الذي لم أغرسه في قلبك إلا اليوم ، يطوح
بك إلى طلب الموت من أجله ؟ لشُد ما استسلم فؤادك لهذه
الوثبات ، فغلوت مسرعة في هوى حبيب أعطيتك إياه .

اميليا : هذا الحب الذي عرّضني لغضبك ، لم يكن الأثر العاجل لما
أردته من الجمع بيننا ، بل كانت ناره مشبوبة في قلبينا من
غير أمرك ، وبقيت سرّاً مكتوماً منذ أربع سنوات او
تزيد . ولكن مهما يكن من حيي له وحبّه لي ، فأقوى ما
ارتبطنا به هو الحقد الكامن لك . فلم أدعُ لسناً من أمل
في الظفر بي إلا إذا انتقم لأبي ، انا التي أبتُ عليه إلا ان
يقسم لينتقم لي ، فأقسم وبجث عن أصدقاء يناصرونه ،
ولكن الآلهة خيبت الأمل الذي منيت النفس به .

فجئت يا مولاي للتضحية ، لا توخياً لإنقاذ حياته
بإلقائي على نفسي تبعة الجريمة ، بل لأن موتي عدل بعد
اثتاري . ولا عذر لي في الجناية على الدولة . إن موتي في
حضرته ، واللحاق بأبي هو الذي جاء بي وهو كل ما أتمنى .

اغسطس : إلى متى انتهت الآلهة ، وعلام ترميني في داري بسهامك
الصائبة ؟ لقد طردت جوليا من كنفي لسرفها في أهوائها ،
وآثرت اميليا بودي ، فما رأيت هذه إلا مثل تلك ، غير
جديرة بالمكانة التي بواتها إياها ، ثلّمت إحداها شرفي
وتعطّشت الأخرى إلى دمي ، واتخذت كل منهما هواها
مرشداً ... فجوليا فاجرة ، واميليا تبغي قتل وليي
نعمتها !

أي بنيتي ..! أهذا جزاء حسناتي ؟

اميليا : حسنات أبي إليك كان لها مثل هذا الأثر .

اغسطس : تذكري باي حب كلاتك " في نشأتك .

اميليا : لقد كلاً هو أيضاً نشأتك بمثل هذا الحنان ، وكان وصياً

عليك ، فأوردته حتفه ، وأريتني بنفسك طريق الإجرام ،

فما اختلفت جريرتي عن جريرتك إلا بأن طمعك أدّى

بك الى ذبح أبي ، اما الغضب العادل الذي اکتوت به

نفسي فهو الذي حفزني الى ابتغاء قتلك لأثار لدمه البريء .

ليفيا : كفى ، يا اميليا ! لقد افرطت ، فامسكي وتدبري ، إنه

كلأ : اعتنى .

وقتي حُسنات أيبك الجزاء الأوفى ، وكان موت أيبك
الذي تُشعل ذكراه سخطك ، جريمة من اوكتافوس لا
من الامبراطور . على ان كل جرائم الدولة التي تقترب في
سبيل التاج تُعفينا منها الآلهة حين تمنحنا التاج ، ثم تضع
الامبراطور موضع التقديس . فإذا الماضي عدل وإذا
المستقبل غفران . من قدير على الوصول لا يُعد مذنباً .
ومهما فعل ويفعل ، فهو المتحرّم المصون . أيا من ذمة له
علينا ، وبين يديه أرواحنا ، ولا حق لنا على صاحب
السلطان .

اميليا : لهذا رميت في الكلام الذي سمعته الى إحفاظه لا الى الدفاع
عن نفسي .

فعاقب إذن يا مولاي محاسني الأثيمة التي جعلت
مقرّيبك كفاراً بالنعمة . اختم أيامي الأليمة ، تضمن
أيامك . اغويت سنّاً وساغوي كثيراً غيره . وليكون
كيدي لك أشد ، ولتكون حياتك أدنى الى الخطر يوم
اصبح مطالبة بثار الحب وثار الدم في آن .

سنّا : تقولين انك اغويتني وتسوميني فوق ذلك ان اتحمل
جناية التي اعبدها على سمعتي وشرقي ؟ لا . يا مولاي !

والحقيقة أولى بأن تقال : لقد اضمرت هذا الغرض قبل أن
اهواها . ولما وجدتها لا تدعن لرغباتي الظاهرة ، ظننتها
تدعن لغيرها من العوامل ، فجعلت أحدثها عن ايها وعن
قسوتك ، ثم قدمت لها ذراعي للانتقام بعد أن قدمت
قلبي للهوى .

أدركتُ أن الإنتقام شهبي لفؤاد المرأة ، فهاجمتها من
ناحيته وملكت فؤادها . كانت تهملني لضعف شائي ،
ولكنها لم تستطع أن تهمل الساعد الذي يثار لها ، فما اثمرت
إلا باحتيالي عليها . وأنا وحدي الفاعل وليست هي
إلا شريكة .

اميليا : سنّا ! ما هذا الذي اجترأت على قوله ؟ أمن الحب لي أن
تجردني من الشرف وأنا في موقف الردى ؟

سنّا : مُوتي ولكن لا تلوّثي مجدي بموتك .

اميليا : إذا صدقك قيصر وقعت الوصمة على شرفي .

سنّا : وإذا ما رددت إلى نفسك كل ما في الميتة الكريمة من فخار
فماذا يحل بشرفي ؟

اميليا : حسن ! خذْ من ذلك الشرف نصيبك ودع لي نصيبي، وإنما

إضعاف هذا إضعاف لذاك.المجد، واللذة، والعار، والهموم،
ينبغي ان تكون مشاعاً بين اهل الحب الصحيح .

إن روحينا ، ايها المولى ، رومانيتان . فلما اتحدت
رغباتنا اتحدت احقادنا.وعلمنا الحق الشديد لموت أهلينا
ما يجب علينا في وقت واحد،فتلاقى قلبانا على ذلك الغرض
الأسنى بعد ان دبره عقلانا . فكلانا يرجو شرف الميتة
المجيدة . وإذ كنت قد أزمعت ان تجمع بيننا فلا
تفرقنا اليوم .

اغسطس : نعم سأجمع بينكما ، ايها الكنودان الخائنان ، فأنتما اشد
عدواناً لي من انطونيوس ولييدس ... سأجمع بينكما كما
اردتما،وساروي الغليل الذي يضطرم فيكما فإذا عرف العالم
ما كان مني ومنكما ادهشه القصاص كما ادهشته الجريمة .

المشهد الثالث

اغسطس ، ليفيا ، سنا ، مكسيم ، اميليا ، لفيا .

اغسطس : عادت الالهة الى الرضى عني ، فانتزعت لي حسناتها الجديدة
مكسيم من غور الامواه . اذن ، أيها الصديق الصدوق
الأوحد .

مكسيم : أقلل من التكريم ، أيها المولى ، لنفس مجرمة .

اغسطس : لا تعد الى ذكر الجريمة بعد ندمك . وبعد ان عرفت كيف
تدرا عني الخطر ، فأنا مدين لك بالحياة وبالامبراطورية .

مكسيم : تبين من أعدائك من هو شرهم ! فلئن كنت ، أيها المولى ،
لا تزال حيًا على منصّة الحكم ، لأنت مدينٌ بذلك لغيظي
وغيرتي الغرامية . لم يأخذني فيما فعلت تأنيب من الضمير ،
بل أردت ان أهلك منافسي ، فكشفت عن مؤامرتة .
وأوهك اوفورب انتي غرقت مخافة ان ترسل في طلي . . .
وانتويت ان أخدع اميليا وأروّعها وانتزعها من ايطاليا ،
ظانًا اني اقنعها بهذا الاختطاف مع التلويح بأمل العودة
للأخذ بشار حبيبها ، ولكنها لم تؤخذ بهذا الطعم الخسيس

ولم تزددُ فضيلتها إلا تمكُّناً على ما أصليتها من حرب .
قرأت ما جال في قرارة نفسي وأنت تعرف ما جرى بعد
ذلك ، فذكرني له لغو وفضول . ثم إنك ترى ما لقي رائي
وجبني من سوء المغبة ، فإن صحَّ أن تكافئ ما دللت
عليه بشيء من العفو ، فاهلك أوفورب في عذاب مبين ثم
اقتلني برأى من هذين الحبيبين .

لقد خنت صديقي ، وعشيقتي ، وسيدي ، ومجدي ،
وبلدي ، برأى هذا الخائن ، وأحسبني قد حظيت بنهاية
السعادة إذا استطعت معاقبة نفسي بعد أن اعاقبه .

اغسطس : أما كفى أيتها الآلهة ؟ وهل لا يزال تجاه القدر أحد من
أسرتي يغريه بإيذائي ؟ ليستنجد عليَّ بالرحيم كل من نوى
بي السوء منهم .

إنني سيد نفسي كما أنا سيد العالم .

أنا السيد وأريد أن أكونه !

فيا أيتها القرون ، ويا أيتها السَّير ، احفظي إلى الأبد
انتصاري الأخير .

اليوم أتغلب على أعدل غلبة تفضي إليك أحدثها !
لنكن صديقين يا سنّا !

انا الذي أدعوك إلى المصافاة. وهبت لك الحياة إذ أنت
عدوي، وعلى ما كان من خبث ما أضمرت لي وشرته، أهب
لك الحياة ايضاً وأنت عامد إلى قتلي !
لنبدأها معركة تدل بنجاعتها على من كان فيها خيرنا
كراً وفرّاً .

تحون نعمي ، وأزيدها لك مضاعفة !
لقد غمرتك بها وأريد ان اغرقك فيها .
هذا جمال اميليا وهبته لك .

وأزيدك فأمنحك القنصلية للسنة المقبلة !
احبي يا ابنتي سنّا في هذا المنصب الرفيع ، وأثري
فيه الأرجوان على حمرة دمي، وتعلمي من المثل الذي أضربه
كيف تملكين غضبك .

رددت زوجك فرددت عليك أبا وخيراً منه .
اميليا : وأنا ألقى بالسلاح ، ايها المولى ، لدى هذه الساحة السامية ،
وأهتدي إلى الصواب في نورها الساطع وأعترف بجرمي
الذي كنت أظنه عدلاً وأشعر في نفسي نداماً قوياً لم تكن
تشعري بإياه رهبة القصاص .
ويناجيني قلبي بأنه نازل على حكم تلك الإنابة .

لقد أرادت الآلهة لك المكافئ الأسمى ، والدليل ، يا مولاي ، أجده في نفسي فأجرؤ ، ولي الفخر ، ان أجلو سريري في بهاء ماثرتك هذه . وأقول لك : ما دامت الآلهة قد غيرت ما بقلبي ، فهي ستغير ما بالدولة . يموت حقدي ، وكنت أظنه أبدياً . بل مات الساعة وأصبح قلبي ولياً وفيماً . سأستفطع ، منذ اليوم ذلك الحق ، وستحل محل بغضائي حميتي الصديقة في خدمتك .

سناً : مولاي ! ماذا أقول بعد أن لقيت ذنوبنا حسن الثواب بدلاً من العقاب ؟ يا للفضيلة المنقطعة النظير ، يا للحلم الذي زاد حكمك عدلاً ، وإثمي وقرأ !

اغسطس : لا تؤخر زمن نسياني لذلك الإثم . وليعفُ كل منكما معي عن مكسيم . خاننا جميعاً . ولكن إجرامه حفظ لكما البراءة وردَّ عليَّ أصدقائي .

(إلى مكسيم) عُدْ إلى منزلتك السابقة ، وليعُدْ إليك نفوذك وعلو شأنك . ولينلُ أوفورب العفو منكم أتم الثلاثة أيضاً ، وليتمَّ غداً زواج سناً من اميليا . فإذا كنت ما زلت تحبها فكفى بهذا القران عقاباً لك .

مكسيم : لا اعتراض على هذا الزواج . إنه كل العدل . ولقد تولاني

يا مولاي من فرط حسناتك استخزاء^(١) نزع مني الغيرة
على الدرّة التي أفقدتنيها .

سنّا : أما وقد رُدّت الفضيلة الى قلبي ، فاسمح لي ان أرصد
لخدمتك ذمة خفرت بها غدراً وجبناً . لقد رسا ولائي
الآن رسوا لا يزلله سقوط السماء على الأرض ، فليمدد في
أيامك العليّ المصروف للمقادير ، وليأخذ من أعمارنا لإطالة
عمرك ، وليفقدني في سبيك أكثر مما جدت به عليّ مائة
مرة ، فأسعد بهذا سعادة يحسدني عليها كل حيّ .

ليفيّا : ليس هذا كل ما في الأمر يا مولاي ، إن قبساً سهوياً ينير
نفسه بشعاع نبوي ، فاستمع لما تقوله لك الآلهة بفمي :
ذلك انها قد قضت لك بالسعادة والتوفيق على الدهر ، ولم يبق
بعد الذي فعلته شيء تخشاه . فكل سيستظل بسلطانك من
غير شكوى وسينقلب أشد القوم ترداً إلى الطاعة فلا يرون
المجد إلا في الموت وهم من رعاياك . . .
ستنتفي كل لبانة غادرة وسترول كل شهوة كافرة ،
فلا يعترض مجرى حياتك الهنيئة شيء منها .

(١) استخزاء : ازدراء .

ليس بعد اليوم من قتلة ولا مؤتمرين ، لما أوتيت من
نسبة السيادة على القلوب ، وسيهز الفرع العظيم روما ،
فتضع في يديك امبراطورية العالم . وستعلمها فضائلك الملكية
إن سعادتها هي في استغلالها بسلطانك ، وإذ انها تحررت
من خطل قديم ، فلا يكون لها من أرب بعد الآن في غير
الملكية . فهي قد شرعت تهىء لك المعابد والهيكل ، وأخذت
الآلهة تُعدّ لك المكانة بين الخالدين . وسيجعلك الخلف في
كل مكان قدوة المقتدين من الأمراء والأكرمين .

اغسطس : أتقبل هذه البُشريات ، وأرجو ان تتفضل عليك الآلهة
دواماً بالالهام .

ضاعفوا غداً القرابين تقربها للآلهة في أيمن الطوالع !
ونادوا في مؤتمريكم بأن اغسطس قد عرف كل شيء وأنه
أبى إلا التجاوز والنسيان !

سلسلة المسرح العالمي

تعریب خلیل مطران	شکسیر	تاجر البندقية
تعریب خلیل مطران	شکسیر	مکبث
تعریب خلیل مطران	شکسیر	هملت
تعریب خلیل مطران	شکسیر	عطیل
تعریب ریاض عبود	شکسیر	یولیوس قیصر
تعریب ریاض عبود	شکسیر	رومیو وجولییت
تعریب خلیل مطران	کورنای	یولیو کت
تعریب خلیل مطران	کورنای	السید
تعریب خلیل مطران	کورنای	سنتا
تعریب خلیل مطران	فیکتور هیغو	هرنانی
تعریب ادیب اسحاق	راسین	أندروماک
تعریب ادیب اسحاق		شارلمان
منشیء مجلة الجامعة	فرح انطون	صلاح الدین